القِيمُ الأخلاقيةُ الدِّينيةُ
في شِعرِ أبي العَلاء المعرِّيِّ
فِي ضَوْءِ النَّقدِ الثَّقافِيِّ

إعداد

أميرة ناصر محمود حسن مصطفى

المدرس المساعد بقسم الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

القاهرة

القيمُ الأخلاقيةُ الدِّينيةُ
في شِعر أبي العلاءِ المعرّيِّ في ضَوءِ النُقدِ الثقافِيِّ

أميرة ناصر محمود حسن مصطفى
قسم الأدبِ والنَّقدِ، كُلِّيةِ الدِّراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبناتِ بالقاهرةِ – جامعةِ الأزهرِ، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: amiranasser@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

كانتْ الأخلاقُ وما تزالُ عُنوانَ الشُّعوبِ، فعنْ طَريقِهَا يُستَدلُّ على مدى التَّقدُّمِ فِي أُمَّةٍ من الأُمَمِ، ومِن خِلالها يُعرف مقدارُ ما تتمتَّعُ به من عِلمٍ ورُقيٍّ، فما ارتفعتْ أُمَّةٌ من الأُممِ إلا بما يَسودُ بين أبنائهَا مِن أخلاقٍ طَيِّبةٍ في مُعاملاتِهِمْ مَعَ أَنْفُسِهِمِ ومع الآخرينَ، لتُكَوِّنَ صُورةً مُشَرِّفةً عن هذا المجتمعِ، وربما لا أكونُ مُبالغةً إذا قُلتُ أنَّ في الأخلاقِ سرَ تَقَدَّمِ البُلدانِ والأوطانِ، لأنَّها تُمثِّلُ الحارسَ الأمينَ الذي يَحْرسُ إنجازاتِ الأُممِ من التَّصدُّعِ والانهيارِ، فحينما يَعرفُ كُلُّ فَردٍ أن إنجازاتِ أُمَتِهِ هِيَ حَصيلةُ كِفاحِ آبائِهِ وأجدَادِهِ، لايَسعى في الأرضِ فَسادًا، ولا يَهدمُ ما بَناهُ الأوَّلُونَ، بل يسعى إلى المُحافظَةِ عليه وتَطويره ما استطاعَ إلى ذلك سَبيلًا، وما انَّحطَّتْ أُمَّةٌ مِن الأُممِ إلا بانحطاط أَخْلاقِهَا سواء على المستوى الفَرديِّ أم المستوىَ الجمَاعِيِّ، ذلكَ لأن الفرد جُزءٌ مِن مُجتمعه، والمُجتمعُ ما هو إلا أفرادٌ وأسرٌ، فإذا ما انتشرَ فَسادُ الأخلاقِ بينَ الأفرادِ تَصدَّعتْ الأُسر وانهارَ المُجتمعُ. فالواجبُ- كُلُّ الوَاجب- أن نتمسَّك بأخلاقِنَا- أخَلاقِ الإسلامِ- لكي تَظَلَّ شَجرةُ الأخلاقِ وَارفةَ الظِّلال يَستريحُ في ظِلِّهَا الجَميعُ في أمنٍ وسَلامٍ.

فهذا البحث محاولة جادة في دراسة (القِيمُ الأخلاقيةُ الدِّينيةُ في شِعر أبي العَلاء المعرِّيِّ فِي ضَوْءِ النَّقدِ الثَّقافِيِّ) وتشخيص الأنساق الثقافية، من أجل الوصول إلى عمق النسق الثقافي المضمر فيه، ولم أُلُو جهدًا في استثمار طاقات النقد الثقافي من أجل دراسة جديدة غير نمطية. واقتَضَتْ طَبيعةُ البَحثِ أنَ يكونَ فِي مُقدِّمةٍ، ومَبحثينِ، المبحث الأول: مفهوم القيم الخلاقية تناولت فيه: أولًا: القيم مفهومها اللغوي والاصطلاحي ومرجعيتها وأنواعها، ثانيًا: الخُلُقُ مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وطبيعة الأخلاق، وعلاقة العقل بالأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ، ثالثًا: مفهوم النقد الثقافي، والمبحث الثاني: الأنساق الثقافية الدينية في شعر أبي العلاء المعرِّيِّ، ثم خَاتِمةٍ، تناولتُ فيها أَهمَ النتائج، ثُمَّ أتبعتُها بثبتِ المصادرِ والمراجعِ، وفهرسٍ للموضوعَاتِ.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية الدينية – شعر أبي العلاء المعرِّي– النقد الثقافي– النسق الظاهر– النسق المضمر.

Religious Moral Values in the Poetry of Abu Al-"Ala" Al-Maarri in the Light of Cultural Criticism

Amira Nasser Mahmoud Hassan Mostafa,

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies (Female Students) in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: amiranasser@azhar.edu.eg

amira0nasser@gmail.com

Abstract:

Morals play an important role in the progress of countries and nations, because they represent the faithful guardian who protects the achievements of nations from collapse. Society consists of individuals and families; if individuals' morals are corrupted, families will fracture and society will collapse. This research is a serious attempt to study the religious moral values in the poetry of Abu Al-ʿAlaʾ Al-Maʿarri in the light of cultural criticism and to diagnose cultural patterns, in order to reach the depth of the cultural pattern implicit in it. Cultural criticism has been harnessed for the sake of a new non-stereotypical study. The research consists of an introduction and two sections. The first section - the concept of moral values - deals with: First: the linguistic and terminological definitions of values, their reference and types; second: the linguistic and terminological definitions of morals, their nature, and the relationship of reason to morals according to Abu Al-ʿAlaʾ Al-Maʿarri; third: the concept of cultural criticism. The second topic deals with religious

cultural patterns in the poetry of Abu Al-"Ala" Al-Maarri. The conclusion presents the most important results.

Keywords: religious moral values - Al-Maarri's poetry – cultural criticism – explicit pattern - implicit pattern.

مُقدمة

كانت الأخلاقُ وما تزالُ عنوانَ الشُّعوب، فعن طريقها يُستدلُّ على مدى التَّقدُّم في أمةٍ من الأمم، ومن خلالها يُعرف مقدار ما تتمتَّع به من علمٍ ورقيٍّ، فما ارتفعت أمةٌ من الأمم إلا بما يسودُ بين أبنائها من أخلاق طيِّبة في معاملاتهم مع أنفسهم ومع الآخرين، لتُكوِّن صورة مشرِّفة عن هذا المجتمع، وربما لا أكون مبالغةً إذا قلت أنَّ في الأخلاق سرَ تقدَّم البلدان والأوطان، لأنها تُمثلُ الحارسَ الأمينَ الذي يحرس إنجازات الأمم من التَّصدُّع والانهيار، فحينما يعرف كُلُّ فرد أن إنجازات أمته هي حصيلة كفاح آبائه وأجداده، لايسعى في الأرض فسادًا، ولا يهدم ما بناه الأولون، بل يسعى إلى المُحافظة عليه وتطويره ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وما انحطت أُمَّة من الأمم إلا بانحطاط أخلاقها سواء على المستوى الفرديِّ أم المستوى الجماعيِّ، ذلك لأن الفرد جزءٌ من مجتمعه، والمجتمع ما هو إلا أفرادٌ وأسرٌ، فإذا ما انتشر فسادُ الأخلاق بين الأفراد تصدعت الأُسر وانهار المجتمع. فالواجب – كُلُّ الواجب – أن نتمسَّك بأخلاقنا – أخلاق الإسلام – لكي تظلَّ شجرة الأخلاق وارفة الظلال يستريح في ظلها الجميع في أمنٍ وسلامٍ.

ولم يقتصر الاهتمام بدور الأخلاق في تقويم النفوس على العُلماء والمصلحينَ من أبناء الحضارة العربية الإسلامية، بل كان للشعراء دورهم في تشحيذ الهمم وإيقاظ النفوس وتوعية الناس وإرشادهم إلى فضائل الأخلاق، لذا نجد أبو العلاء المعرِّيِّ يقفُ من الإنسان موقف الواعظ الديني أو المعلم الأخلاقي الذي يجعل هدفه إصلاح النفس وتقويمها، وتوجيه السلوك الإنساني إلى ما فيه خير الإنسان في الدنيا والآخرة، عن طريق الانتصار على النفس الأمارة بالسوء، وتقليم أظافر الشر في هذه الدنيا التي يتنازعها صراع حاد متكافىء بين الخير والشَّرِ.

ويعد أبو العلاء المعرِّيِّ ممن عارضوا الخطاب الدينيِّ السائد في عصره، بهدف التوعيةَ الاجتماعيةَ الأخلاقيةَ، أكثرَ من السعي لتقديم آراء نظرية فلسفية لأصل الأديان مثلًا أو ماهيتها الميتافيزيقيَّة. وهي توعية تساعد على تحرر الجمهور من القيود المؤسسية دون حاجة إلى إدخالها في مشكلات دينية تعد من اختصاص النماذج العليا للتفكير الفلسفي. انطلاقًا من الاتجاه إلى القول بتساوي الناس رغم اختلاف دياناتهم وتعارضها، لتأسيس أُخوةٍ بشريةٍ تجمعُ الناس وتذلل الفوارق الدينية بينهم، فالدِّينُ عند المعرِّيِّ إنسانيةٌ مخلصةٌ، قائمةٌ على الإيثار وعمل الخير، وغيريةٍ صادقةٍ، بعيدةٍ عن التَّحيزِ وحُبِّ الذاتِ. فقد شرع أبو العلاء المعرِّيِّ ينتقد السلوكيات الخاطئة المتطرفة البعيدة عن تأمل الفكر عند الفرق الإسلامية، والأديان الأخرى بعد أن تعمق هذه الأفكار وتدبر المناهج وعاش تطبيقها على أرض الواقع في تجربة الحياة المريرة، ومن ثم مقارنتها بالقيم الدينية في منابعها الخالصة الصافية.

والمعرِّي يعترف بالدين بكونه أمرًا سماويًا ومنهجًا قويمًا، لكنه عمل جاهدًا على نفي ما علق بالفكر الديني من خرافات، وعادات وتقاليد بالية، وانقسامات طائفية، معتمدًا العقل الهادي إلى الحق والعدل والحرية والرأفة والمؤاخاة الإنسانية.

وأبو العلاء المعرِّيِّ في نقده للخطاب الديني يفرق بين الدين بصفته المنهج القويم المنزل من خالق عظيم والفكر الديني الذي لا يكتسب من الدين قداسته، بل هو اجتهادات بشرية لفهم النصوص الدينية، وتأويلها لصالح فرقة محددة أو فئة معينة.

وتظهر قيمة الأخلاق في سلوك البشر، لأن الأخلاق تتجسدُ سلوكًا وتتبدى أفعالًا في العلاقات الإنسانية، فإن الشعر وَجَدَ فيها مجالًا رحبًا، فالشعر تعبير عن النفس الإنسانية في تجلياتها المتنوعة، ومحاولة للإمساك بجذوة الروح المطلقة إلى الكمال والنزوع إلى الخير بلغته الجمالية الخاصة. وقد احتفى الشعر – منذ

بداياته – بالأخلاق، وسعى إلى تجسيد القيم الأخلاقية التي تظهر في سلوك الناس ومواقفهم كنوع من التبشير بهذه القيم وترسيخها لدى الأجيال. وقد ازداد اهتمام الشعر العربي بعد ظهور الإسلام – أو هذا ما يُفترض – بالأخلاق انسجامًا مع احترام الأخلاق، والتزامًا بواجب الانتماء إلى الدين الجديد الذي أولى الأخلاق منزلة سامية.

فكانت فضيلةُ الأخلاق عند العرب طبعًا وخُلقًا موروثًا جيلًا بعد جيل، ولا شكَّ في أنَّ الشِّعر هو المُعبرُ الحيُّ عن البيئة يُصوُر قيمها الخُلقية ويبين أبعادها الفكرية ومُثلها العُليا وجوانبها المختلفة وأثوابها المتجددة ونواحيها المتشعبة من خير وشر ونفع وضرر. ويبقى الشعر يصور المعاني السَّامية والصفات الجليلة والمبادئ الرفيعة ويمجِّدها ويذم المعاني الذميمة ويُحقرها، ومهما طال الزمن وابتعد تبقى القيمُ الحميدةُ راسخةً في نُفوس الناس.

هذا البحث محاولة جادة في دراسة **(القِيمُ الأخلاقيةُ الدِّينيةُ في شِعر أبي العَلاء المعرِّيِّ فِي ضَوْءِ النَّقدِ الثَّقافِيِّ)** وتشخيص الأنساق الثقافية ممثلة في الإيمان والكفر، الهدى والضلال، المقدس والمدنس، من أجل الوصول إلى عمق النسق الثقافي المضمر فيه، ولم أُلُو جهدًا في استثمار طاقات النقد الثقافي من أجل دراسة جديدة غير نمطية. واقتَضَتْ طَبيعةُ البَحثِ أنَ يكونَ فِي مُقدِّمةٍ، ومَبحثينِ، **المبحث الأول: مفهوم القيم الخلاقية** تناولت فيه: **أولًا: القيم** مفهومها اللغوي والاصطلاحي ومرجعيتها وأنواعها، **ثانيًا: الخُلُقُ** مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وطبيعة الأخلاق، وعلاقة العقل بالأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ، **ثالثًا: مفهوم النقد الثقافي، والمبحث الثاني: الأنساق الثقافية الدينية في شعر أبي العلاء المعرِّيِّ** تناولت فيه: **نسق الإيمان والكفر، نسق الهدى والضلال، نسق المقدس والمدنس،** ثم خَاتِمةٍ، تناولتُ فيها أَهمَ النتائج، ثُمَّ أتبعتُها بثبتِ المصادرِ والمراجعِ، وفهرسٍ للموضوعَاتِ على النحو التالي:

المبحث الأول

مفهوم القيم الأخلاقية

ترتبط القيم الأخلاقية بأغلب ميادين الحياة، فهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، فهي ضرورة اجتماعية لا يستطيع أي مجتمع التخلي عنها؛ لأنَّه سيؤدي إلى تفككه وضعفه؛ ولأنها أيضًا تتغلغل في نفوس الأفراد على شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، تظهر في السلوك الشعوري واللاشعوري للإنسان، لذلك أصبح لكل مجتمع قيمه الأخلاقية التي يعتز بها، ويحافظ عليها، ويجعلها تمثل شخصيته وثقافته أمام الآخرين؛ لأنَّ الأخلاق لا تنبع من السلوك الخارجي والفردي فقط؛ بل من ذات الإنسان والجماعة فهي تعبر عن طموحهم ومشاعرهم وقضاياهم وبكل ما يفكرون ويفخرون به.

أولاً: القيم مفهومها اللغوي والاصطلاحي ومرجعيتها وأنواعها:

١- **مفهومها اللغوي**: القيمة: "واحدة القيم وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، وقيمة المتاع ثمنه"(١). و"قيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبًا موفيًا فيه عند شخص واحد أو عند طائفة معينة من الأشخاص"(٢)، والقيمُ أنواع منها "المادية والاقتصادية والجمالية والأخلاقية والدينية وغيرها"(٣).

---

(١) جمال الدين بن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب، تولى تحقيقه نخبة العاملين بالدار كالأستاذ عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ج٥/ ٣٧٨٣. مادة (قوّم).

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م، ج٢/ ٢١٢

(٣) فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد صادق(نقلها عن الانجليزية)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، وأشرف عليها: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط،١٩٦٣م، ص٣٥٢.

٢- **الاصطلاحي:** يمتاز المدلول الاصطلاحي للقيمة؛ بأن التداخل والتشعب عنوانه الأول؛ لكن على وجه عام يمكننا القول: إن القيمة "أساس ما يسمى بالحكم التقويمي، أي ذلك الحكم الذي يمنح المدح أو الذم لصفات يراها المصدر للحكم في المفاضلة بين شيئين أو أكثر"(١).

وبناءً على ما تقدم: تبدو القيمة منظومة سلوكيات قولية وفعلية تتوافق مع العقل والضرورات الاجتماعية وتحصل قبولًا لدى المتلقي بالسلب أو الإيجاب.

٣- **مرجعية القيم:** تتأتى "مرجعية القيمة من الميدان الذي تُدرَس فيه وتُدرَّس القيم ضمن ميدان علم الأخلاق، الذي يعد ضمن العلوم المعيارية التي تقاس عن طريقها سلوكيات الناس وتصرفاتهم"(٢). وتختلف مفاهيم علم الأخلاق باختلاف النظريات الأخلاقية، وتُعرف الأخلاق بوساطته بأنها:"جملة قواعد السلوك المقبولة لدى جماعة من الناس في عصر معين وفي حضارة معينة"(٣). وعلى هذا، فإن علم الأخلاق يحدد القواعد الأخلاقية التي ينبغي أتباعها والسير على مبادئها، ومن هنا يمكننا أن نميز بين نوعين من الدراسات الأخلاقية، النوع الأول يضع ما ينبغي أن يكون عليه السلوك وهو ما يدعى بـــ(الأخلاق المعيارية)، والثاني يصف ما كان واقعًا من سلوك وهو ما يدعى بـــ(الأخلاق الوصفية)(٤).

---

(١) مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م، ص٥٩٣.

(٢) وليام ليلى، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق: علي عبد المعطي محمد، مؤسسة المعارف، الاسكندرية، د.ط، ٢٠٠٠م، ص٢٧.

(٣) أكرم مطلك محمد، الأخلاق والدين بين فلسفة الانغلاق والانفتاح دراسة في كتاب (منبعا الأخلاق والدين)، للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، بغداد، العراق، ٢٠١٢م، ص ٧٤.

(٤) وليام ليلى، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق: علي عبد المعطي محمد، ص٢٥-٢٦.

أما **النوع الأول** الذي يقول **بالأخلاق المعيارية**، فأصحابه يرون أن علم الأخلاق علم معياري، ويذهبون بالقول "بأنه يجب على علم الأخلاق أن يضع قواعد أخلاقية للحياة الإنسانية"(١)، وهذا النوع يتمثل في العرف والقوانين الوضعية والسماوية والرأي الشخصي.

أما **النوع الثاني** الذي يقول **بالأخلاق الوصفية**، فإنه يذهب إلى أنه" ليس من واجب هذا العلم وضع قواعد أخلاقية؛ لأنها تعد ذلك أمرًا غير ممكن وغير جائز وإنما ترى مهمته منحصرة في تقرير الوقائع الأخلاقية ووصفها"(٢). فضلًا عن ذلك نجد إلى جانب السلوك بوصفه ممارسة يعنى علم الأخلاق بما يسمى بـــ(الأخلاق النظرية) التي تشمل النظريات الأخلاقية التي وضعها الفلاسفة للكشف عن طبيعة القيم الأخلاقية وماهيتها، وتوجد بصيغة نظريات ومبادئ عامة لا تختص بزمان أو مكان أو أقوام معينين، بل هي عامة للجميع على السواء من حيث أنها تنبع من التفكير والنظر اللذين يهديان إلى قاعدة عامة، أو قانون عام، أو مثل أعلى غير موجود عمليًا(٣)، ومن هذه النظريات التي مثلتها: نظرية السعادة التي تعني "إن هناك شيء واحد يرغب فيه الناس جميعًا، هذا الشيء هو السعادة، وكل ما عداه وسائل لبلوغ هذه الغاية، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المبدأ الأخلاقي ينبغي أن ينصب بتحقيق أكبر قدر من السعادة للآخرين"(٤)، وأيضًا نجد نظرية المنفعة التي تعني أن "الفعل الخير هو الذي يحقق أو يتوقع صاحبه من ورائه أكبر قدر من السعادة أي المنفعة أو اللذة لأكبر عدد من الناس وليس محصورًا به فقط"(٥).

---

(١) محمد حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣-٢٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٦٣.

(٤) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر،د.ط، د.ت، ص١٣١-١٤٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٨.

٤- أنواع القيم:

أ- **الموضوعية الحسية:** وهي "القيم التي يستدعي عملها وفهمها فعلًا وسلوكًا تطبيقيًا، وتكون مستقلة بوجودها عن الإنسان، أي لها وجودها الخاص بغض النظر عن علاقة الإنسان بها، وتحتفظ بطبيعتها ولا تتأثر بما يضيفه عليها من خلال أحكامه، وبذلك تنأى عن الذاتية أو الانطباعية الخاصة"(١)، فالقيم الأخلاقية من الناحية الحسية هي قيم عامة تتأتى من مجموع سلوك أخلاقي عام، وتعتمد الثبات والديمومة على مستوى الأفراد، فهي لا تتغير بتغير الظروف والزمن كقيم الكرم والشجاعة وغيرها، مما يجعلها مؤهلة لأن تصبح معيارًا نقيس به الأقوال والأفعال ونصل بوساطتها إلى حكمٍ مقبولٍ لجميع الأفراد بوساطة هذه المعايير.

ب- **الذاتية المجردة:** نعني بها أن الذات هي مصدر الحكم، فهي قيم تنبع من حاجات الناس وما يتخذونه من وسائل لإشباع تلك الحاجات. وإذا نظرنا لمفهوم القيم بهذا المنظار، فإننا نجدها تمثل"صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، طبقًا للظروف والملابسات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم"(٢)؛ أي أنه لا يوجد معيارٌ محددًا لقياس القيمة أو معرفتها، وبذلك يصبح المعيار هنا يعود إلى الفرد كيف يقرر؟ ولأي سبب يختار قيمه دون الرجوع إلى أصل خارجي لمعرفة أو إصدار الحكم؟ وهكذا تتنوع القيم بتنوع الأشخاص والمواقف كقيم حفظ الصداقة والصدق وغيرها.

---

(١) محمد حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ص١٣٧.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٥١.

ثانيًا: الخُلُقُ مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وطبيعة الأخلاق، وعلاقة العقل بالأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ.

١- **مفهومها اللغوي:** الخُلُقُ: "السجيَّةُ والطبعُ والمروءة والدين، وتخلَّقَ بخُلُقٍ كذا: استعملهُ من غير أن يكون مخلوقًا في فطرته"(١).

٢- **الاصطلاحي:** المدلول الاصطلاحي للخُلُقُ هو:"هيأةٌ في النفس راسخةٌ تصدرُ عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيأةُ بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سُميت الهيأة خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيأة التي هي المصدر خُلُقًا سيئًا"(٢). ومن المعروف أنَّ لكل عصر قيمه وعاداته ومقاييسه، ولكن هناك قيمًا تبقى راسخة في نفوس الناس مهما اختلف ذلك الزمن. ولا شك في أنَّ لحياة العرب العقلية والدينية والاجتماعية أثرًا كبيرًا في تكوين أدبهم وقيمهم فالأمم تختلف عقليًا ونفسيًا اختلافًا كبيرًا تبعًا لاختلاف البيئة، فخلقت البيئة العربية قيمًا تتلاءم وواقع حياتهم، فأسهمت في إيجاد نوع من العلاقة بين أفراد المجتمع قائمة على عمل الخير والابتعاد عن طريق الشر، لذا ألفت القيم في حد ذاتها قانوناً إنسانيًا نافعًا. فكان الشعر هو الوسيلة القادرة على نشر القيم الخُلُقية الإنسانية المشحونة بعاطفة التقدير، فجاء في عمومه

---

(١) أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٦هـ،٢/ ٢١٢٤. جمال الدين بن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،د.ط، ١٩٥٦م، ١٠/ ٢٨٦. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت،٢/٢٢٩. مادة:(خُلُقُ)

(٢) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، مطبعة سندة القسطنطينية، د.ت، ص٦٩. أبو حامد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ترجمة الأمم السهروردي (ت٦٣٢هـ)، د.ط، د.ت، ٣/ ٣٩.

معبرًا عن تلك القيم في بيت شعرٍ أو مثلٍ أو عبارةٍ ذات دلالاتٍ بعيدة تُعبر عن فطرتهم السليمة. لذا عُد وسيلة تربوية هدفها إشاعة القيم وغرسها في نفوس الأبناء.

ولما جاء الإسلام غير بعض المفاهيم والقيم وجعلها تتناسب وشريعته السمحاء التي تحفظ لكل إنسان حقه في الحياة الكريمة وتلتزم بالحفاظ على ممتلكاته المادية والمعنوية، فدعا لتقويم العقائد وتهذيب الأخلاق وتنظيم الصلة بين الخالق والمخلوق وإماطة الأذى عن طريق الحياة الاجتماعية الراقية فأخضع سلوك الإنسان بعامة والشاعر بخاصة لمنطق العقل؛ لأنَّ هدفه إنشاء مجتمع إنساني يسلك طريق الخير ويبتعد عن الميل الذي يخضع للنزوات والرغبات. فعمل على تغيير الواقع وتهذيب النفوس بما هو أجدى وأنفع من خلال تثبيت القيم الخيرة، وتعاظم المثل الإنسانية القائمة على وحدة العقيدة.

٣- **طبيعة الأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ:** الإنسان مصدر الأخلاق، ومنظومة الإنسان "تتكون من تركيبات عدة (عقلية، ووجدانية، وحسية، وغريزية) ومن بنية هذه التركيبات والتفاعلات فيما بينها ومدى ترابطها مع البيئة الاجتماعية، ومع تطلعات الإنسان خلال التطور التاريخي يتم النظر في مسائل الأخلاق المختلفة"(١).

فالفلاسفة الذين عنوا بالمسألة الأخلاقية قد أكدوا أن الأساس الأول للحياة الأخلاقية هي الإرادة الخيرة. ومهمة الفيلسوف الأخلاقي هي "الأخذ بيد الإنسان المنزلق لكي يسترد تلك الحاسة الخُلقية ليرى ويدرك المعاني. ويمكن أن يستمد الإنسان التعاليم الأخلاقية والسلوك الاجتماعي من مصادر الأخلاقيات الدينية المتنوعة والمدارس الاجتماعية، وكذلك من المذاهب الإصلاحية.

---

(١) وليام ليلي، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق: علي عبد المعطي محمد، مؤسسة المعارف، الاسكندرية، د.ط،١٩٨٥م، ص٢٥.

والمنظومة الأخلاقية قاعدة حصينة لحماية المجتمعات من الانهيار والتصحر الفكري والثقافي؛ كونها تمثل الركيزة الصلبة التي تقف عليها إرادة المجتمع في جميع مجالاته، ولا يمكن أن يتزود الإنسان بالفكر الإنساني التقدمي من دون مراعاة التشريعات الأخلاقية؛ سواء أكانت سماوية أم أرضية، لذلك فإنَّ التقدم الاجتماعي من الناحية الأخلاقية يضمن سلامة المسيرة نحو الوصول إلى مواجهة متطلبات الواقع، فالمجتمع بطبيعته متعرض للتغيير من خلال طرائق عدة أشدها وطأة الارتكاس والانتكاس، وبهذا تكون الأخلاق بمثابة الذخيرة الذهبية لمعالجة القضايا والمحن الطارئة، وفيما لو انعدمت الأخلاق فلا يمكن لأي مجتمع أن يعالج أية أخطار أو محن يواجهها"(١).

فالأخلاق لم تعرف كمذهب معين عند العرب كما عند اليونان إلا بعد ظهور الإسلام، وتطور المدينة ومجيء حركات الترجمة التي أنعشت الفكر الإسلامي بتلاقح ثقافته مع الثقافات الأخرى والاطلاع على منابع العلم لاسيما آراء الفلاسفة اليونان. وإن كان هناك محاولات قبل هذا التاريخ من حث على الفضائل وتحذير من الرذائل عن طريق الشعر والحِكم والأمثال وغيرها. حتى جاء الإسلام ودعا إلى الفضائل والنهي عن الرذائل وجعل سعادة الدنيا والآخرة جزاء الالتزام بالفضائل، وهي الأساس الأخلاقي الإسلامي.

أما في الفكر الغربي، فالفلسفة الأخلاقية "أخذت عن طريق تعاليم سقراط واحتلت مكانًا بارزًا، فسقراط كان نقطة البدء الرئيسة التي صدرت عنها الاتجاهات الأخلاقية لدى اليونان من بعده، ولهذا هو منشيء علم الأخلاق"(٢). وفي هذا الاتجاه يرى الفلاسفة العقليون أن العقل كمصدر للقيمة الأخلاقية،

---

(١) جون كارل فلوجل، الإنسان والمجتمع، ترجمة: سعد الغزالي، مراجعة: أمين مرسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٢، ص٧٥-٧٨.

(٢) توفيق الطويل، الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م، ص٢٩.

فالأخلاق ترد للعقل وهي ثابتة، باعتبار أن العقل ثابت وواحد يعرف الخير ويقره ويدرك الشر ويتجنبه، وهذا ما أكده سقراط قديمًا حين رأى أن الفضيلة تساوي المعرفة.

وقد "ساير أفلاطون أستاذه سقراط في مجالات المعرفة والأخلاق، وانتهى أفلاطون إلى أن الوجود عالمين: عالم المثل وعالم المحسوسات. عالم المثل هو العالم الحقيقي، عالم العقل، عالم الخير، عالم الله، أمام عالم المحسوسات فهو عالم المادة، عالم اللذات، عالم الشر"(١).

فـ"رائد الفكر المثالي والأب الروحي للمثالية هو أفلاطون، والمثل عند أفلاطون هي الصور والحقائق المجردة أو الحقائق الخالدة في عالم الإله وهي لا تندثر، إنما هو هذا الكائن المحسوس، تمجد الفلسفة المثالية العقل والروح والتقليل من دور المادة، فالموجودات ما هي إلا نسخ غامضة لمثل أولية كاملة وإن الطبيعة الحقة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس، بل توجد في المثال، وبذلك لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل وحده"(٢).

أما "موقف أرسطو في الفضيلة، فقد ارتبط بمفهوم السعادة التي تقوم على العقل والنفس، كذلك الفضيلة التي نجني منها الخير قد تضررنا حين نستعملها بإفراط أو تفرط وهذا ما يسميه الوسط الذهبي"(٣).

والمثل الأعلى الأخلاقي هو "البرنامج الذي يقترحهُ الفيلسوف للمجتمع الإنساني، وإذا طبق المجتمع هذا البرنامج وصل إلى السعادة والرفاهية،

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني، أفلاطون(نوابغ الفكر الغربي)، دار المعارف، مصر ، د.ط، د.ت، ص١٠٠

(٢) نجيب بلدي، مراحل الفكر الأخلاقي، دار المعارف، مصر، د.ط،١٩٦٢م، ص٢٢، ٢٣.

(٣) أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٤٢م، ص١٧-١٩.

وصاحب المثل الأعلى للأخلاق لا بُدَّ أن يكون قوى الأديان بالمجتمع في ذاته، واسع الأمل في الحياة لذاتها، فهو في ذلك يرسم الخطط، ويتخذ من التدابير ما يضمن للمجتمع الراقي"(١). ومع ذلك لم يكن أبو العلاء المعرِّيِّ مثل أعلى ولا برنامج للمجتمع الإنساني يكفل له السعادة، وإنما متعة أنه لم يكن مؤمنًا بهذا المجتمع منكرًا على الناس أن يؤمنوا به، وإن كان ينحو منحى رجال الأخلاق في رسم المثل العليا، بل كان أوفر منهم حظًّا، فهو يتعمق في أدق النزعات الإنسانية، فقد حاول وضع قواعد عامة للكمالات الأخلاقية والفضائل النفسية لتتحلى بها الأفراد والجماعات، ومعنى يرغب الناس في اتباع هذه المثل لكن بطريقته الخاصة.

ونجد عند أبي العلاء المعرِّيِّ ومضات من الأخلاق المثالية، إذ نرى أن اعتزاله الناس يتبع من إحساسه بافتقاد الكمال والنموذج والمثل الأعلى في المجتمع، وربما كان البحث عن اللامتناهي والكمال المطلق هو السبب في ذلك، وكذلك زهده ورياضته لنفسه يريد أن يصل بها إلى حد الكمال، كما أنه يريد أن يضع الإنسان في أكمل صورة حين يعلى من قيمته وبقدر عقلانيته، من كل هذه الصور نلمح الأخلاق المثالية التي تنزع إلى المثال.

وتظهر نزعة أبي العلاء المعرِّيِّ المثالية في أدبه، فإذا كان قد بكى لبكاء الناس، وأشفق على الحيوان فليس ذلك إلا لأنه تطلع إلى المثل الأعلى ورغب في حياة مثالية لايشوبها نقص، ولا يعكر صفوها ألم. وبذلك يلتقي فكر أبي العلاء المعرِّيِّ بفكر من حلم بمدينة فاضلة كأفلاطون والفارابي وغيرهما من الذين حلموا بمدينة فاضلة لا تنبت أرضها إلا الرحمة والعدل، فهو بهذا المعنى شاعر المثل الأعلى والكمال والخير.

---

(١) أحمد أمين، الأخلاق، دار الكتب المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٣٣م، ص١٧٦-١٧٨.

ونخلص مما سبق:

١- إنَّ الأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ ذات طبيعة مثالية عقلية تنزع إلى الكمال وتهفو إلى المطلق، وهي ذات طبيعة عقلية؛ لأنها تستند على العقل، لذا فهي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. فالأخلاق لا يكفي فيها أن تكون مجرد قواعد عقلية كما يرى الغربيون، بل يجب أن تدعمها قوة روحية، كما هي النظرة إليها من جهة الحضارة الإسلامية.

٢- إن أبا العلاء المعرِّيِّ بقراءاته الكثيرة، وعلمه الواسع في مجالات الفلسفة والأدب جعل يرسم للعالم مثلًا أعلى في منتهى الرقي، وجعله يتخيل كل جزء من أجزائه غاية في الكمال، فهذا العالم الذي رسمه خير لا شر فيه، ولذة لا ألم فيها وحكمة بالغة، وتعاون على الخير وصلاح ليس فيه شيء من فساد، فلما فرغ من هذا المثال نظر إلى الواقع فصدمه صدمة عنيفة، لبُعد ما بينهما فأخذ يلعن هذا العالم الواقع بالنسبة إلى عالمه المثالي.

٣- لأبي العلاء المعرِّي نزعات مثالية واضحة المعالم، ويبتعد عن المثالية أحيانًا، لكنه يتبنى نزعة مثالية، فلم يكن منكرًا للمجتمع دافعًا الناس إلى الكفر به، ولكنه كان داعيًا إلى رفض رذائل هذا المجتمع ومواطن فساده، رغبة منهُ في الصعود به إلى الكمال والنموذجية الأخلاقية، ولعلَّ منهجه الذاتي وسلوكه الحياتي خير مثال على ذلك.

٤- **علاقة العقل بالأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ:** الأخلاق تنمي العقل الإنساني، والعقل "ما يعقل به حقائق الأشياء وقيل محله الرأس، كما قيل محله القلب، وقيل العقل قوة النفس الناطقة، كما قيل العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف"(١).

(١) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، ١٩٣٨م، ص١٣٢.

و"أدرك اليونانيون العقل، فهو مقياس العلم الصحيح والعقل يستمد علمه بالأشياء من الحواس التي تقع على الأشياء الجزئية تنتقل صورها إلى النفس، إذ يعمل العقل في تجريد هذه الصور وتحليلها وردها إلى أصولها العامة"(١). كذلك عند المسلمين أولت المعتزلة عناية فائقة للعقل، فهي لا تعرف الشرع ولا تصدقه إلا إذا قامت عليه من العقل حجة واضحة ودليل صحيح، فالعقل أحق أن يقدَّم.

وبين أبو العلاء المعرِّيِّ أهمية ما يقوم به العقل، وما يخبر به الإنسان من باطل وخير، وبين أن ضياعه هو ضياع المرء. فيري أبو العلاء المعرِّيِّ أن العقل هو الهادي إلى الرشاد به تنقشع الغيوم. والعقل يعجز في بعض الأحيان عن إدراك الحق لسببين هما: طغيان الطبع والغريزة والهوى عليه، وكذلك تعقد بعض المسائل وصعوبتها، لكن على الرغم من عجز العقل أحيانًا لا يدعو إلى هجره؛ لأنَّ اتباع الإرادة والغريزة فيه أساس الفساد، ويتضح عند أبي العلاء المعرِّيِّ أن قدرات العقل، وإن كانت لا يُستهان بها في العالم المادي، فإنها تقف عند حدود معينة هي المجال الما ورائي، فهو سيد لكنه في حدود منطقته المادية. أما إذا ارتفعنا إلى ما فوق فلا يرى إلا الإنكار والنفي، هذا العقل وهذا المقياس البسيط هما اللذان تسلح به أبو العلاء المعرِّيِّ وأصبح يقيس الأشياء به.

و"لكل إنسان قوة غريزية يميز بها بين الحق والباطل أو الخير والشر الأخلاقي وغير الأخلاقي، وتختلف هذه القوة باختلاف العصور والهيئات، فالبعض يرجع هذه القوة إلى قوة العمل والتفكير، والبعض يرجعها إلى قوة الشعور، وقد تُصاب هذه القوة الأخلاقية بمرض، فترى الخير والشر والعكس،

(١) طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٣٧، ٢٣٨.بتصرف

ويرى فريق آخر أن معرفتنا بالخير والشر مثل معرفتنا بأي شيء آخر تعتمد على التجربة وتنمو بتقدم الزمان وترقى الفكر وكثرة التجارب"(١).

ويمتاز العقل عند أبي العلاء المعرِّيِّ "أنه أساس الفضائل وينبوع الآداب، فلا يسمى الإنسان فاضلًا حتى يكون عاقلًا يعرف ما ينبغي له أن يؤثر من خير ويتجنب من شر، ويربط ذلك كله بالأخلاق الفاضلة؛ لأنها من موجبات العقل الصحيح، فإذا تم العقل كان خيرًا وسهل عليه التغلب على مشكلات الحياة وصعوباتها"(٢)، فالأخلاق الفاضلة من موجبات العقل الصحيح، فالعقل هو الهادي إلى الرشاد والموصِل إلى الخير، فإذا أردت البُعد عن الزلل حكم عقلك في كل شيء في الشرائع والمذاهب والسياسة والتقاليد، أما الظن والهوى والطبع لا توصل إلى الحق، كما أن شرط الإنسان الكامل أن يكون صحيح العقل وحر الفكر ولا يمازج تفكيره فساده ولا يخالطه هوى، إذ إنه لا يسلم بالمبادئ الاجتماعية، والدينية تسليمًا عاطفيًا أعمى.

وقد استعمل أبو العلاء المعرِّي العقل على طول الطريق، وأخذ ينقد به العادات والتقاليد ونظم الحياة الاجتماعية في عصره، فيرى أن المتسلطين على الناس لا عقل لهم ولا عدل عندهم، بل هم شياطين، وقد نجح في ذلك؛ لأنَّ الأمور التي انتقدها من صميم العقل، فالعقل أداة صالحة لربط الأسباب بالمسببات.

نخلص مما سبق:

١- يحتلُّ العقل مكانة متميزة في فكره، فهو عنده الهادي والمرشد والدليل، فقد أعطى للعقل قيمة ومكانة عليا، فإيمانه بالعقل أصل مهم من أصول فكره،

---

(١) أحمد أمين، الأخلاق، ص٨٣.

(٢) حسن مجيد العبيدي، من الآخر إلى الذات(دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٦١.

فحذر من ترك العقل، بل أسرف في تمجيده وبلغ اطمئنانه إليه وتمجيده له أن جعله خير مشير، فالعقل هو محك الخير(الأخلاق) فمعنى أن الخير يعقل أي يُدرك بالعقل.

٢- العقل عند أبي العلاء المعرِّيِّ هو السراج الوحيد الذي يضئ ما في الدنيا من ظلمات، فيجب أن يظل كسراجٍ مشتعلٍ حتى لا يظل صاحبه في ظلمات الخرافة، فالعقل هو المرشد إذا لم يتعارض مع الدين.

٣- تأثر أبو العلاء المعرِّيِّ من الفكر العربي الإسلامي والفكر اليوناني في فرض العقل كقيمة ذاتية واستعماله في مجالات شتى، ولكن الفِرقة التي تأثر بها شديد التأثر هي المعتزلة، فقد أولت المعتزلة للعقل أهمية، وقد كان يستضئ بمصابيح المعتزلة في إكبار العقل، ورأى أن الحسن والقبح يعرفان بالعقل، ولم يكن أبو العلاء المعرِّيِّ شاكًا في مسائل الغيب والعقيدة، وإنما يتفق مع المعتزلة في الاعتداد بالعقل، وفتح الأبواب للظن حتى ينفذ إلى الحقيقة، مع ظن الكثير أنه يؤمن بالعقل وينكر الشرع، لكن أشعاره تؤكد أنه يؤمن بالعقل والشرع معًا.

٤- الاتفاق بين أبي العلاء المعرِّيِّ والمعتزلة حول شأن العقل، لكن هناك فرق بينهم، فقد جعل المعتزلة العقل قادرًا على معرفة الحقائق الإلهية بنفسه. لكنَّ موقف أبو العلاء المعرِّي من الحقائق الإلهية أقرب إلى موقف علماء الدين منه إلى موقف الفلاسفة؛ لأنه وإن سلك مثل الفلاسفة في تقديس العقل، إلا أنه عند كلامه على أركان الدين أخطر إلى التسليم بها بقلبه لا بعقله، فالعقل خاضع لكثير من القيود؛ لأنه مقارن للمادة الجسدية، إذ إنَّ الإنسان مؤلف من نفس وجسم، وإنَّ العقل الذي للنفس يتأثر به من إحساسات وعواطف تعكر صفوه، ولذا لا يتجلى له الحق إلا إذا تحرر من الهوى.

٥- يدعو أبو العلاء المعرِّيِّ في فلسفته الأخلاقية إلى إنسانية مخلصة، وغيرية صادقة، بعيدة حب الذات، قائمة على الإيثار وعمل الخير، فالمرء يجب أن

يفعل الخير لأن فعل الخير نفسه جميل، لا لأنه يرجو عليه ثوابًا أو يخشى من الاضراب عنه عقابًا، فهو مثالي النظر إلى الأخلاق، يلبس لكل حالة لبوسها، ولا مادي يرجو المنفعة، وهو لا يرى فرقًا بين الأخلاق والدين. فيدعو جميع الناس إلى فعل الخير، ثم هو يأمر بذلك نفسه أيضًا، ويرى أن يفعل الإنسان الخير خالصًا لوجه الخير، وأن يتجنبوا الشر والظلم لأنهما قبيحان. وما دام الإنسان يفعل الخير للخير فليس يضره أن يفعله سرًا أو أن يفعله ثم ينساه مرة واحدة، وكذلك يكره أولئك الذين يتظاهرون بحب الخير والدعوة إليه على المنابر، ثم هم لا يفعلون خيرًا.

ثالثًا: مفهوم النقد الثقافي:

النقد الثقافي "في أبسط مفهوماته ليس بحثًا أو تنقيبًا في الثقافة، إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة، وبذلك فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية بل في تموضعاتها كافة بما في ذلك تموضعها النصوصي ومن هنا يبتعد النقد الثقافي عن الأدوات المنهجية المستعملة في النقد الأدبي، وهي أدوات تبحث في بنية النص وفي ما هو (بلاغي/ جمالي). أما النقد الثقافي فيبحث في الأنساق المضمرة للخطاب ويتعامل مع النص الأدبي بوصفه حادثة ثقافية كغيرها من الحوادث الثقافية التي تستأثر باهتمام الدراسات الثقافية التي تحاول الكشف عن أدوات التمركز والهيمنة"(١).

فالنقد الثقافي "نشاط أو فعالية تُعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية والقيم الحضارية بل حتى الأنساق الثقافية الدينية والسياسية، أمَّا النص الأدبي فيتعامل معه ليس

(١) سمير كاظم الخليل النصيري، النقد الثقافي والممارسات الثقافية للخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع بعمَّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م، ص٧.

بوصفه نصًا جماليًا بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر ما هو مضاد للمعلن في النص الأدبي، ويقصي الجانب الجمالي ووظيفته الشعرية لأنه يؤدي إلى العمى الثقافي الذي يجعلنا نرى أو نكتشف الحيل الثقافية التي يتوسم بها لتمرير أنساقه المضمرة، والنقد الأدبي هو الذي يعني بالجمالي والشعري في الأداء النصي"(١).

ويمكننا القول:

١- إنَّ النقد الثقافي "ليس بمنهج نمطي له حدود معينة، وإنما نشاط إنساني معرفي يتناول مختلف المنجزات الفكرية والمعرفية والخطابات الحاملة لأنساق تاريخية أو تداولية اجتماعية، وغيرها التي يعبر عنها من خلال الثقافة ونعثر فيها على تهربيات نسقية، وما يهمه هو الكشف عن أنساق مضمرة أخفتها جماليات الأداء فيما يعرف بالحيل النسقية، وما هو ظاهر يحيل إلى غير الظاهر المخالف أو المضاد أو الحامل للعيوب النسقية في كل خطاب، ومع أن في حضور الخطاب مفاتيح لتهريبات نسقية تفتح الآفاق عن أنساق ما ورائية كامنة فيه، كما أن النقد الثقافي لا يمكن أن يدعو إلى موت النقد الأدبي بل دعا إلى إحيائه بطريقة حداثية وحضارية، وقال بتجاوزه من خلال الأخذ بالأسباب والعلل التي جعلته نمطيًا باحثًا عن الجمالي فقط في الخطاب الأدبي، ولم يسلط الضوء على الأنساق الثقافية الكامنة وراءه"(٢). ومن هنا "بزغ النقد الثقافي ليرسم إطاره العام بوصفه مشروعًا معرفيًا منفتحًا على مجمل الحقول المعرفية، ليؤسس لدلالة ثقافية تقف عند أنساق مضمرة تتحكم في إنتاج الخطاب واستهلاكه وكيفيته وتأويله"(٣).

---

(١) سمير كاظم الخليل النصيري، النقد الثقافي والممارسات الثقافية للخطابات، ص٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٩، ١١ بتصرف.

(٣) سمير كاظم خليل النصيري، الأنساق الثقافية في الخطاب الصوفي: كسر النمط الكتابي والعمى الثقافي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع بعمَّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م، ص٩.

٢- "لم يكن النقد الثقافي بديلًا للنقد الأدبي، إلا إذا أريد له أن يكون عدوانيًا، وهو ما شاع وانتشر فعلًا، لكن حين يلتفت للجماليات فله أدواته المكملة للنقد الأدبي؛ أما ما يميزه عن النقد الأدبي فهو حرية الناقد وعدم خنوعه لأوامر السلطة، فهو نقدٌ موجِّهٌ وليس موجَّهًا، والناقد الثقافي ليس ناقد مؤسسة أو سلطة يأتمر بأمرها كي يسهم بتدجين الثقافة، بل ناقد فاحص يرصد حتى الخيط الخفي بين السلطة والأدب من جهة، ووظيفة الناقد وأوامر السلطة من جهة أخرى. فالنقد الثقافي عالم واسع وهو أسرع من دارسيه والباحثين فيه باتجاه عوالم الانفتاح والتطور"(١).

٣- إن الكشف عن المخبوء تحت الجمالي هو الذي يحرر الخطابات من سلطة الثقافة، ويحين القراءة في مستوى ميتا ثقافي يكشف عنه المضمر الدفين الذي يشتغل في الاستعارات اللفظية التي تتدثر في ثنايا اللغة والمقولات اللفظية والأفعال غير المباشرة. فالثقافة كما يقول الغذامي: "تتحرك في مستوى اللغة وفقًا لأصول راسخة تقبع في المضمر العميق تجعلنا سجناء للنسق"(٢). فحياة النسق ليست ظاهرة، مرئية، منكشفة، وينبغي بناء عليه تحليلها وتقطيعها حتى نتمكن من جعلها قابلة للفهم والتفسير. لذا كان لزامًا على الناقد الذي يشتغل على خطاب الأنساق أن يقدم تفكيكًا حقيقيًا لحياة النسق. لقد آن الأوان لنعلن عن ميلاد جيل الأنساق، وجيل ما بعد الأنساق، جيل يحفر في الوجود الأنساقي الذي تمرره مختلف الخطابات.

٤- النسق المضمر يتضح معناه من الاسم الدال على الاستتار والخفاء، فالخطاب الجمالي يخبىء شيئًا آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلا أداة

---

(١) حسين القاصد، الدلالة الثقافية وسيميائية النسق المضمر، مؤسسة دار الصادق الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، عام ٢٠٢٣م، ص٩، ١٠.

(٢) عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة، ٢٠١٤م ص٨٦ بتصرف.

تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر، فيستتر النسق الثقافي ويمرُّ بوضع أقنعة مموهة، وظل هذا النسق غير منقود ولا مكشوف، بسبب توسله بالجمال الأدبي، وبسبب عمى النقد عن كشفه.

٥- إن واحدًا من مقاصد النقد الثقافي للأدب هو التحرر من قيود الأفكار التي تم تناقلها عبر أجيال من النقاد رغم عدم خضوعها للاختبار الجدي الذي يثبت مدى جدواها في فهم الأدب من عدمه. إن انفلات النقد الأدبي من أحادية النوع وانفتاحه على عالم التحليل الثقافي يأتي عبر انطلاق الناقد من إدراك جماليات النص الأدبي بالأساس، طبقًا لأية منهجية تحليلية يختارها، دون أن ينظر إلى بلورة بعض الجماليات، والوقوف على بنيات محتملة للنصوص بوصفها منتهى عمله؛ إذ يمكنه بعد ذلك الانفتاح على الثقافة فهمًا وتحليلًا.

٦- يتصل النقد الثقافي بالثقافة، والثقافة "بلا شك من أشد المفردات أو المصطلحات غموضًا بسبب اتساع مفهومها وتعدده بتعدد الحقول المعرفية التي تتعامل معه، ومهما تحدثنا عن مفهوم الثقافة، نبقى بعيدين عن الدقة المتناهية لمفهومها أو ما يسميه المناطقة بالتعريف الجامع المانع بعد أن صار لها أكثر من مئة وسبعين تعريفًا. ولكن الثقافة تبقى عنصرًا مهمًا في حياة المجتمعات ومحور من محاور التطور والوعي وتهدف إلى تنمية وتنشيط المبادرات الخلاقة وتنمية الرصيد الثقافي من أجل تعميق الحوار الثقافي وإشاعة التسامح والانفتاح على ثقافة وحضارة الشعوب الأخرى وتعزيز القيم الإنسانية والتفاهم والتآخي واحترام اختيارات الآخر مهما كان عرقه ولونه ودينه وعقيدته ومذهبه وقوميته بمعنى آخر احترام خصوصية ثقافة الآخرين[١].

(١) سمير كاظم الخليل النصيري، النقد الثقافي والممارسات الثقافية للخطابات، ص١٧.

٧- الثقافة "ليست مجموعة من الأفكار النظرية والرؤى الفكرية ولكنها نظرية في السلوك بما يرسم الطريق لحياة أجمل وأرقى، وبما يتمثل فيه الطابع المحلي الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب، ولا تهمل ما يميز أمة من الأمم عن غيرها من الجماعات بما فيها من عقائد وقيم ولغة ودين ومقدسات وتجارب شريطة عدم التطرف والتمحور حول الذات وإهمال الآخر وتهميشه واحتقاره وإسقاطه وباختصار أن الثقافة هي الكل المركب الذي يجعل الفرد يتقبل الرأي الآخر بلا تشنج أو تعصب أعمى أو عدم قبوله والحكم عليه بالمسخ لأنه يرى في نفسه أو عقيدته أو رأيه أو قوميته الأصلح والأحق في البقاء، وغير ذلك مرفوض منبوذ حقه الموت"(١). ومهما يكن من شيء فإن تعريف (وليمز) للثقافة يستحق التنويه إذ يقول: ريموند الثقافة هي" فعالية عامة من النمو الذهني والروحي والجمالي"(٢) والثقافة مفهوم له صلة وثيقة بالفعالية التي نسميها النقد الثقافي.

٨- إن الثقافة كلمة تستخدم بمعنى واسع بحيث يكاد تشمل كل إنجازات العقل البشري، بل وكل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو فكر، وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك وقيم تسود في المجتمع الذي يعيش فيه. لتشمل المعرفة باختلاف أنواعها والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعُرف، وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه أحد عناصر المجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه. فأجمل ما في الثقافة ما تحمله من خصائص إنسانية واجتماعية مشتركة بين البشر ككل، سواء أكان البشري فيها فاعل أم متفاعل، مؤثر أم مستجيب، فهو

---

(١) المرجع السابق، ص١٧.

(٢) محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٧.

الصانع والخاضع لها في الوقت ذاته، كما أنها تضمن لنفسها الاستمرارية والبقاء، فكثير من العلوم والأساطير والمعارف والحكايات والعادات والتقاليد الشعبية والممارسات والطقوس ما زالت تحتفظ ببعض كياناتها إلى الآن على الرغم من البعد الزماني والمكاني والمعرفي بيننا كأحد مستعمليها وبين البيئة والظروف التي منها نشأت وإن أصابها بعض التغيير أو التحوير أو التطوير بما يتناسب مع أمته ويختلف مع أخرى، كذلك تتسم الثقافة بالاستقلال والتميز عن صانعيها، فهي كيان حي قابل للتشكيل والانتقال والتكيف والتوافق والمثالية والتراكم والتعقيد بحيث تتخطى الارتباط الشرطي لتواجدها بتواجد الصانع لها.

المبحث الثاني

الأنساق الثقافية الدينية في شعر أبي العلاء المعرِّيِّ

إن الدين نسق ثقافي يدخل في تصورات الأفراد وسلوكياتهم، ويتحول إلى مرجعية تعتمد عليه الثقافة في التمثيل الثقافي، ويصبح نسقًا مهيمنًا في التكوين الثقافي للأفراد.

فأبو العلاء المعرِّي بوصفه مفكرًا إنسانيًا ثوريًا، وناقدًا اجتماعيًا، يعي أن هناك من يوظف الخطاب الديني، ويجعله مصدر تحفيز وتعبئة، باتجاه مضاد لمصالح الرعية، فالجمهور عنده يقع تحت مكايد المستغلين للدين، ومن سار على هديهم مما يحمل على التفكير أن الدين مسخر بأسلوب جماعي، لخدمة مصالح فردية. لذلك كان جريئًا في إنكاره أن يتحول الدين إلى مجرد مجموعة من الطقوس الشكلية المتوارثة، إذ إن قيمة الدين عند المعرِّيِّ تكون على أساس التعقل والتدبر والرقي الأخلاقي. وبذلك تجاوز حالة خلق النص الفني إلى خلق فكر مضاد. وكان يصرُّ على أن الدين الحقيقي لا يمكن أن يتم إلا بالممارسة العملية، وفي تطلعه لهذا النهج كان نفيًا لما هو سائد، وتطلعًا لما هو أفضل وأكمل. من أجل نظام ديني يوحد بين التنظير وهو القول، والتطبيق وهو الفعل والممارسة وبذلك لم تعد الحقيقة الدينية تسكن في الكتاب وحده، وإنما أصبحت تسكن في تاريخ الناس وأعمالهم.

وقد استطاع أبو العلاء المعرِّيِّ "أن يكون لنفسه فلسفة خاصة من خلال فهمه حقيقة الدين الإسلامي، وتجسيد القيم الإنسانية النبيلة والفكر الديني في الإسلام، وفهم رسالة الإنسان في الحياة، وكل ذلك متأتي من نظرته للمجتمع الذي يعاصره مع دراسة وتتبع طبيعة المجتمعات التي سبقته من خلال دراسة هذه التجارب وتقيمها. فيرى أبو العلاء أن روح الإسلام تكمن في السلوك الإنساني بين الأفراد والجماعات لا في العبادة فقط، أو أنها طقس تشريعي تكليفي فقهي

تنتهي وظيفتها عند حدود العبودية، وإنما يجب ترجمة الدعوة الإسلامية إلى سلوك وعقيدة، ويجب تشرب الروح الإسلامية في المسلم، ولا يجوز حصرها في الوعظ والإرشاد عند الدعاة أو أداء أركان الإسلام فقط دون السلوك التطبيقي للمنهج الإسلامي. فكان يطمح ويطمع ويتمنى أن يرى مجتمعًا صادقًا يحمل ويدافع عن القيم التي يدعو إليها الإسلام الحنيف وأن يفهم حقيقة الدين والإيمان والتفكر واتباع العقل وعدم الخلط بين الإيمان والنفاق، وكان يدعو إلى تجسيد حقيقي للقيم والمعاني الإسلامية في طباع المسلمين وأعمالهم، ذلك لأن الوعي السلوكي يجب أن يكون تطبيقًا للوعي المعرفي"(١).

لقد وقف أبو العلاء المعرِّيِّ ضد الخطاب الديني المتحيز البعيد عن روح الدين، وحمل رجال الدين المتعنتين مسؤولية التخلف والانشقاق والصراع وسوء حال الأمة. إذ سعى لتجديد مفاهيم الدين وأنماطه وسلوكياته استجابة لروح العصر وقضاياه استجابة لثقافته الواسعة العميقة، وتغلغله في قضايا الحياة والوجود. إذ يدعو إلى منهجية التفكير بما يخدم الدين والدنيا، وقد "أدرك أن الإيمان الحقيقي وفهم التوحيد هو إيمان وعمل وسلوك، وليس تأدية عبادات وطاعة عمياء بعيدة عن التفكر والتعقل. وبعد أن لاحظ الهوة بين حقيقة الدين وجوهره، وبين تدين الناس وحدود معرفتهم بدين الله دعا إلى الصدق في النية، والإخلاص في العمل، والاعتقاد بالتفكير أفضل مما يكون بالتسليم المطلق، وأن الصلاة والصوم وأركان الإسلام الأخرى يجب أن تتجسد في روح الإنسان وعمله بما يصدر عنه من مشاعر الإحساس بالآخرين، وما ينطوي على ذلك من عمل الخير والتقوى"(٢). فالدين عنده طريق إلى تهذيب النفوس، وتنقية الضمائر.

---

(١) أحمد علي الفلاحي، دراسات في النص الشعري العباسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، الإردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص٢٢-٢٥ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٣ بتصرف.

لقد "وقف أبو العلاء المعرِّيِّ من رجال الدِّين موقف الناقد لأنه كان يعدهم المُثل الأعلى للأمة، فإذا فسدوا أنهارت المُثل العليا وتهدم بناء الناس الروحي، وكان حريصًا على أن تكون قادة الأمة الروحيين منزهين عن الأخطاء التي يقع فيها البشر، وكان مما تصوره في مثله الأعلى للمجتمع رجال دين التزموا أوامره واجتنبوا نواهيه، وآمنوا بالله سرًا وجهرًا. وأخلصوا له حقًا، ودرسوا الدين وعرفوا أسراره، وميزوا بين ما أتى به حقًا وما ألصق به خرافة، وكانت أعمالهم الظاهرة وفقًا لعقائدهم الباطنة، فلا رياء ولا غش، إن قضوا بين الناس حكموا بما أنزل الله، وتحروا العدل الذي لا يشوبه الظلم، معبرين عما في نفوسهم تتطابق أقوالهم وأعمالهم وقلوبهم، هم صوت الله لشعبه لا يخافون عظيمًا ولا يعيرون أمام الحق كبيرًا صدقوا ما عاهدو الله عليه، وما بدلوا تبديلًا"(١).

وكان أبو العلاء المعرِّي حريصًا على بيان الهدف من نقده الديني، وكأنه يرسم منهجًا علميًا قبل أن يشرع في عملية النقد. ويحمل على رجال الدين المنحرفين عن روح الدين، ويدعو في نفس الوقت إلى الإخاء بين الأديان إذ أن جميعها تدعو في جوهرها إلى الخير وإلى عبادة الله. فيتكىء على خلفية أخلاقية يتوخى من ورائها تصحيح بعض التصورات التي كانت سائدة بين الناس، وربط ذلك بالأساس الأخلاقي السلوكي الذي كان يلح على ضرورة توفره في سلوك رجال الدين، وغيرهم من العلماء فضلًا عن عامة الناس. فيقف من الإنسان موقف الواعظ الديني أو المعلم الأخلاقي الذي يجعل هدفه إصلاح النفس وتقويمها، وتوجيه السلوك الإنساني إلى ما فيه خير في الدنيا والآخرة، عن طريق الانتصار على النفس الأمارة بالسوء، وتقليم أظافر الشر في الدنيا التي يتنازعها صراع حاد بين الخير والشر.

(١) يسري محمد سلامة، النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعرِّيِّ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٢٩٧ بتصرف.

إن النص الإبداعي له مظهر وله جوهر، وبالقدر الذي يكون المظهر مهمًا في هذا النص، فإن الجوهر يكون أهم. وهذا الجوهر الإبداعي يبرز من خلال آفاق الرؤية الأدبية التي يتمتع بها كل نص، وكل ظاهرة وهي تتقدم نحو إنتاج دلالة كثيفة تؤكد عمق هذا الجوهر وخصوبته وإبداعيته. وتتمثل الأنساق الدينية في شعر أبي العلاء المعرِّيِّ فيما يلي: **نسق الإيمان والكفر، نسق الهدى والضلال، نسق المقدس والمدنس.**

١- نسق الإيمان والكفر:

قد شغل النسق الضدي (الإيمان/ الكفر) في عالم أبي العلاء المعرِّيِّ الديني، فكان على يقين من وجود خالق، ولكنه يقين عقلي حيث يحتم عليه عقله استحالة وجود الخلق والكون من دون خالق قادر، فلم يكن ملحدًا، و"هناك أبيات لأبي العلاء المعرِّي يدلُّ ظاهرها على الإلحاد، وأبيات تدلُّ على حسن العقيدة، والحقيقة أن الأدلة إذا تعارضت تساقطت، ووجب علينا أن نتلمس سبيلًا آخر لإيضاح هذه الناحية، وليس لدينا إلا حياته العملية، فقد كان صوَّامًا قوَّامًا صالحًا تقيًا زاهدًا"(١). كما أن "أشعار الحيرة والتردد في شعره إنما كانت نتاجًا لنفس حائرة لا نفس ملحدة، والفرق واضح بين الحيرة والإلحاد؛ لأنَّ الحائر إنما يبحث ويفكر ويوازن، أما الملحد فقد بنى نتيجة على أساس من الاستقرار العقلي"(٢). و"أغلب الظن أن الكثير من أشعار أبي العلاء المعرِّيِّ التي كانت تتخذ ضده ذريعة لاتهامه بالكفر كانت موضوعة عليه، إذا لا يعقل أن يحمل الإنسان وثيقة اتهامه"(٣).

---

(١) المجمع العلمي العربي، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرِّيِّ، يشتمل على وصف المهرجان الذي أقامه المجمع العلمي العربي لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وما قيل فيه من القصائد والخطب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٨٩-٢٩٠ بتصرف .

(٢) يسري محمد سلامة، النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعرِّيِّ، ص٢٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٦ بتصرف.

كما أن المنصفين له أكدوا هذه الحقيقة، وحاولوا أن يلتمسوا له العذر فيما جاء على لسانه، فكان "يرمى من أهل الحسد بالتعطيل، ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمنونها أقاويل الملحدة، قصدًا لهلاكه، وإيثارًا لإتلاف نفسه"(١). ويبدو أن الشعر الذي وضع على لسان أبي العلاء المعرِّيِّ لم يكن للإيقاع به، فهناك شعر وضعه المخلصون له بقصد نفي التهمة عنه.

والأمر الذي لا شك فيه، أن أبا العلاء المعرِّي كان "يؤمن بوجود الله – تعالى، وأنه خالق كل شيء، وأن الحياة والموت بين يديه يتصرف فيهما كيف يشاء، لا راد لحكمه ولا معقب على إرادته. وكما أثبت ذاته أثبت صفاته من وحدانية وقِدَم وقدرة وعفو ورحمة وعدل ومغفرة إلى غير ذلك من صفاته سبحانه التي تحدث عنها القرآن، وأنه الملك الحكيم الثابت الأزلي عالم الغيب الذي عنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو"(٢). ففي شعره يتردد هذا الإيمان الصادق بذات الله وصفاته، في اعتراف صريح، إذ لم يكن أبو العلاء المعرِّي في عزلته التي التزمها حتى آخر حياته بالذي يشغله رأى الناس فيه، ففي هذه العزلة عاش مؤمنًا بحقيقتين لا مجال للشك فيهما، هما: الله والعقل. وفي شعره يؤكد إيمانه بأن وراء كل شيء خلقه الله حكمة قد يصعب فهمها على العقل،

---

(١) مصطفى السقا وآخرون، جمع وتقديم، تعريف القدماء بأبي العلاء، إشراف: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م، ص ٤٨٤–٤٨٥

(٢) طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة، ٢٠١٩، ص٢٥٧ بتصرف . عمر فروخ، دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّيِّ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية١٤٠٦ هـ – ١٨٨٦م، ص١٠٠–١٠١ بتصرف. على كنجيان خناري، مصادر ثقافة أبي العلاء المعرِّيِّ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص٢١٦. بتصرف.

لأنها أبعد من أن يصل إليها سلطانه، أو أن تخضع لقانونه البشري، فالله – عزَّ وجلَّ – عند أبي العلاء – حقيقة لا شك فيها، ويرى أن فيما خلقه الله دليلًا على وجوده، فيقول[١]: (من مخلع البسيط)

أُثْبِــتُ لَــي خالِقًــا حَكيمًــا * وَلَسْــتُ مِــن مَعْشَــرٍ نُفــاةِ**

النسق الظاهر يؤمن أبو العلاء بوجود الله – جلَّ وعزَّ– خالقًا حكيمًا، وليس ممن ينفون وجوده. فالله هو الحقيقة الأزلية الثابتة التي لا شك فيها وفي بقائها؛ وما سواه يتغير ويتبدل ويَفْنَى. وهو حقيقة نستطيع أن ندركها في مخلوقاته التي تدل على قدرته وحكمته، وعلى أنه لم يخلق الحياة عبثًا أو دون غاية. أما العقل فقاصر عن إدراكها أو الانتهاء إلى يقين عقلي بشأنها، لأنها خارجة عن نطاق إدراكه المحدود. **النسق المضمر** يكشف أن الإيمان المطلق بالله تعالى أمر مسلم به عند أبي العلاء، بالعقل والوجدان، بالمعقول واللامعقول، بالحقائق المشهودة والغيبيات، فلا يدخل الإيمان بالله عنده في باب الجدل وعلم الكلام، وإنما يكتفى بما جاء في القرآن الكريم من صفات الله، ولا يتكلف البراهين العقلية على وجوده، لأنه لم يدخل دائرة الشك، ومن الطبيعي، من يثق بأمر ليس بحاجة إلى أن يأتي بأدلة على وجوده. كما يخطئ الذين يحكمون عليه من هذه الناحية بالكفر والإلحاد.

إن أبا العلاء يعبد الله – عزَّ وجلَّ – ويتقرب إليه، ويثني عليه ثناء الإنسان الحر، فلا يمنعه شيء من أن يتحدث إلى ربه حديث المؤمن به يصارحهُ بما فهم وبما لم يفهم، بما رضي وبما لم يرضَ، فهو مؤمن بالله بعقله ووجدانه، ويتبرأ

---

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ومراجعة الإمام أبي منصُور ابن الجواليقي، تقديم وشرح وفهرست وحيد كبابة، حسن محمد، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م، ج١/ ص٢٠٧.

من الملحدين، مما يؤكد صدق العقيدة وسلامة الدين في الوحدانية والإيمان بالله، فيقول[١]: (من بحر الكامل)

اللَهُ صَــوَّرَني، ولَســتُ بِعــالِمٍ * لِمْ ذاكَ، سُبحانَ القَديرِ الواحِــدِ**

فَلْتَشْهَدِ الساعاتُ وَالأَنفاسُ لــي * أَنّي بَرِئتُ مِن الغَــوِيِّ الجاحِــدِ**

النسق الظاهر يؤمن أبو العلاء المعرِّي بالله إيمانًا لا يتزعزع، فيقول وهبني الله هذه الصورة، ولا أعلم سر خلقي، فحمدًا للقادر الواحد، فلتشهد ساعات حياتي، وأنفاسي، أني بريءٌ من الضالين المنكرين لله. فالإيمان عنده هو الثقة بالله وتسليم كل شيء إليه والرضا بما يصيبُك في الحياة، ثم الورع، ولا يدخل الإيمان عنده في باب الجدل وعلم الكلام، وإن كان يقرنه دائمًا بالعقل. **النسق المضمر** يكشف أن إيمان أبي العلاء المعرِّيِّ بالله- عزَّ وجلَّ- إيمان عقلي ووجداني، فهو اقتناع فطري بوجود قوة حكيمة قاهرة هي مصدر العالم، والمسيطرةُ عليه، تلك القوة التي لم يَخْلُ عصرٌ من العصور، ولا قُطر من الأقطار ولا شعبٌ من الشعوب المتمدنة أو المتوحشة من الإيمان بها، لذلك فهو يوكل إليه أموره كلها مما يقول ويرى. ويخطئ الذين يحكمون عليه من هذه الناحية بالكفر والإلحاد.

وقد تأمل أبو العلاء المعرِّيِّ القضايا المحالة الممتنعة من المنظور العقلي، وكيفية تسخيرها بالقدرة الإلهية، فالله – عزَّ وجلّ – يفعل أمورًا بأعيانها لو أراد، لا تجوز أن تحدث في باب الممتنع في العقل، لكن الله قادر على كل شيء، وإن كانت بعض الأمور من باب الممتنع في العقل البشري المحدود، فيقول[٢]: (من بحر السريع)

---

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَوِيّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٣٦٤.

(٢) نَبَا: لم يقطع. كَلَم: جَرَحَ. زَجَر: أَنَّبَ. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم(اللزوميات)(مما يَسْبق حَرْف الرَوِيّ)، برواية الإمام التبريزي، ج٢/ ص٤٢٩

إِنْ زَجَــرَ اللَّــهُ حَديــدًا نَبَــا، * أو أمَــرَ اللَّــهُ حَرِيــرًا كَلَــمْ**

النسق الظاهر يؤمن أبو العلاء المعرِّيِّ بأن الله تعالى قادر على المستحيل، فلو شاء لزجر حديد السيف فانثلم حده، ولجعل الحرير الطريّ صلبًا كالسيف فيجرح، فلو شاء ألا يجرح الحديد لما جرح، ولو شاء لجعل الحرير الناعم الطري كالسيف حدةً وصلابة فيجرح، وذلك مخالف للقوانين الطبيعية المعتادة التي جبل عليها العقل البشري. **النسق المضمر** يكشف أن أبا العلاء المعرِّيِّ أراد أن يذكر بقدرة الله ومشيئته التي لا تُدرِك كُنْهَهَا العقول. وهذا يكشف أنه يقر بالغيبيات التي تضاد العقل، وأن القدرة الخفية من مميزات الله الثابتة.

وتأمل أبو العلاء المعرِّي القضايا من باب الاستحالة والامتناع في المنظور العقلي البشري المحدود، فيقول[١]: (من بحر الوافر)

بــإِذْنِ اللهِ يَنفُــذُ كــلُّ أَمْــرٍ * فَنَهْنِهْ فَيْضَ أَدْمُعِــكَ السُّــجُومِ**

يَجُــوزُ بِحُكْمِــهِ مَــوْتُ الثُّرَيَّــا * وأَنْ تَبْقَى السَّماءُ بــلا نُجُــومِ**

النسق الظاهر يدعو أبو العلاء المعرِّيِّ إلى التجلد في مواجهة الحياة، فكل أحداثها مقدرة، تجري بإذنه تعالى. فبإذنه – تعالى – تختفي النجوم، أو تخلو السماء منها، فهو وحده قادر على المستحيل. **النسق المضمر** يكشف أنه يتخلي عن دواعي العقل ومسلماته، ويؤمن بالغيبيات، ويورد أمثال هذه المُحالات للتعريض بالمتكلمين، فيفترض الأمور المُحالة في الطبع والعادة، للتأكيد على قدرة الله غير المتناهية التي تدرك بالإيمان المطلق.

---

(١) يَنْفُذُ: يُقْضَى. نهنه الدمع: كفكفه. السجوم: المنهملة الجارية. الثريا: مجموعة كواكب. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج٢/ ص٤٠٦

٢- نسق الهدى والضلال:

قد شغل النسق الضدي (الهدى/ الضلال) في عالم أبي العلاء المعرِّيِّ الديني، يرى أبو العلاء أن "النبوة وازع ضابط لسلوك البشر، لا يجوز أن يُجرَح. فإذا حاول أحد أن يجرح هذا الوازع بأن يُنكِرَ بعثة الرسل أو يجعل مجيء الرسل قليل الأثر في الحياة الاجتماعية وجَبَ تأديبه بالقصاص الشديد. إذ إن الرسل قد جاءوا لهداية الناس وتهذيبهم، ولكنَّ الناس في معظمهم، لم يهتدوا ولم تتهذب نفوسهم لأن الناس أنفسهم فاسدو الطبيعة لم يقبلوا التهذيب الذي أراده الرُسل للناس"(١)، فيقول(٢): (من بحر البسيط)

الحَمدُ لِلَّهِ ما في الأَرضِ وَادِعَةٌ * كُلُّ البَرِيَّةِ فـــي هَـــمٍّ وَتَعْـذِيبِ**

جاءَ النَبِيُّ بِحَـــقٍّ كَـــي يُهَـــذِّبَكُم * فَهَل أَحَسَّ لَكُمْ طَبـــعٌ بِتَهْـــذيبِ؟**

عَوْدٌ يُصَدِّقُ، أَو غِرٌّ يُكَـــذِّبُ، أَو * مُرَدَّدٌ بَـــينَ تَصـــديقٍ وَتَكـــذيبِ**

وَلَو عَلِمْتُمْ بِداءِ الذِّيبِ مِن سَغَبٍ * إِذًا تَســـامَحْتُمُ بِالشَّـــاةِ لِلـــذِّيبِ**

النسق الظاهر يحمد أبو العلاء المعرِّيِّ الله – عزَّ وجلَّ، ثم يقول: إن الناس معذَّبون، ولا توجد نفس مستقرة مطمئنة. ويشير إلى أن النبي الكريم قد بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، ولكن لا حياة لمن تنادي، فطباعهم لم تشعر بهذا التهذيب والإصلاح. ويرى أن الناس فئات ثلاث؛ الكبار يصدّقون، والصغار يكذّبون، والبقية في شكٍّ بين التصديق والتكذيب. وعندما تعلمون أن جوع الذئب عادة له؛ تتسامحون معه عندما يأكل الشاة، يريد أن الشرَّ طبع في الشرير، دون تدخل

---

(١) عمر فروخ، دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّيِّ، ص١٠٥.

(٢) الوادعة: المستقرة. العود: المسنّ من الإبل. الغرّ:قليل التجربة. الذيب: الذئب. السغب: الجوع. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص١٤٣-١٤٤.

منه. **النسق المضمر** يكشف أنه لا يدل على سوء رأيه في النبوة نفسها، إذ نظرنا إلى مقام الرسل في التهذيب الاجتماعي، فالرسل يُحاولونَ أن يَهْدوا الناسَ إلى عمل الخير، وإلى العيش على مودةٍ وسلامٍ، وأن يُهذبوا الطباعَ وأن يجعلوا حياة الناس سعيدة في هذه الدنيا، من أجل ذلك وجب أن يرفع شأنهم في الناس، وأن يُلام الذين يَسْلكون غيرَ هذا المسلكِ وأن يعاقبوا، وهذا يكشف أن حكم أبو العلاء المعرِّيِّ جازم قاسٍ، ولكنه عاقل عادل، إذا نظر الإنسان في أعمال الناس من ظلم بعضهم بعضًا، ومن اعتداء بعضهم على بعض بالقتل الفظيع والسرقات الكبيرة، وبالسلب والنهب وبالتخريب والتدمير – حينما يكون هنالكَ سبب مُسوِّغٌ مزعوم وحينما لا يكون هنالك مُسوِّغٌ على الإطلاق – فإننا حينئذٍ يجب علينا أن نسامح الذئب – في حال جوعه – إذا سلب الراعي شاةً، ثم قتل هذه الشاة ليسدَّ بها جوعَه.

كان أبو العلاء المعرِّيِّ في "أول أمره يدعو إلى التصديق بالنبوة، وبما عرفه الناس من طريق النبوة كالبعث والجنة والنار والتوبة، ودعا إلى الهدى والتقى وعمل الخير، إلا أنه فيما بعد تصفَّح أعمال الناس، ووجد أن أثر الأنبياء قليل، وإنَّ الناس لم يقتدوا بما جاء به الرسل إلى البشر من خيرٍ، بل تمسكوا بظاهرِ ما قاله الرسل، فضلوا ضلالًا بعيدًا، فالغاية من بعثة الأنبياء هي صلاح البشر، والبشرُ لا يزالون بعد مجيء الأنبياء كما كانوا قبل مجيئهم، غير أن المعرِّي يمدح ويفضِّل محمدًا على سائر الأنبياء، ويؤثر الإسلام على سائر الأديان والشرائع"[(١)]، ويؤمن بنبوة محمد ﷺ ويرى أنه جاء ليهذب الناس ويرشدهم إلى خير السبل، فيقول[(٢)]: (من بحر الطويل)

---

(١) عمر فروخ، دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّيِّ، ص١٠٧، ١٠٩ بتصرف.

(٢) العوالي: أسنة الرماح. السوافل: الأطراف السفلية للرماح، وفيها حديدة لا تجرح. حداكم: دفعكم، ساقكم. الطالعات والآفلة: النجوم. الفرض: الواجب. النافل: وجمعه نوافل.=

دَعَاكُمْ إِلـى أَعْلَـى الأُمـورِ مُحَمَّدٌ، *** وَلَيسَ العَوَالِي في القَنَا كَالسَّوافِلِ

حَـدَاكُمْ عَلَـى تَعْظِـيمِ مَـنْ خَلَـقَ *** وَشُـهْبَ الدُّجَى مِن طَالِعَاتٍ وَآفِلِ

وَأَلْـزَمَكُمْ مـا لَـيسَ يُعْجِـزُ حَمْلُـهُ *** أَخا الضَعْفِ مِن فَرْضٍ لَهُ وَنَوَافِلِ

وَحَثَّ عَلَى تَطْهِيرِ جِسْمٍ وَمَلْبَسٍ *** وَعَاقَبَ فـي قَذْفِ النِّسـاءِ الغَوَافِلِ

وَحَـرَّمَ خَمْـرًا خِلْـتُ أَلْبَـابَ شَـرْبِها *** مِنَ الطَيْشِ أَلْبَابَ النَّعَامِ الجَوافِلِ

يَجُـرُّونَ ثَـوْبَ المُلْـكِ جَـرَّ أَوانِـسٍ *** لَدى البَدْوِ، أَذْيالَ الغَوَانِي الرَوَافِلِ

النسق الظاهر يقول أبو العلاء المعرِّيِّ لقد دعاكم نبي الإسلام إلى الحق والمعالي، وهو خير الرسل، وهذا تفضيلٌ للرسول محمد ﷺ على سائر الأنبياء، الذي دعا الناس إلى عبادة الله، خالق السماء والأرض، والليل والنهار، والكواكب السيارة، وفرض عليهم شريعة معقولة، يسهل حملها على الضعيف، ودعا إلى طهارة الجسد والثياب والنفس واللسان، فنهاكم عن قذف المحصنات، وحرَّم شُربَ الخمرة، التي طالما أذهلت العقول، فغدت كعقول النعام خفّة، ولما تمكنت الخمرة من عقولهم، بدوا في تيههم كنساء البدو المنعمات، يجرون أذيال التَرَف، وفي هذا الكلام مفارقة لطيفة إذ يصور نساء البدو وقد برزن في ثياب النعمة.

النسق المضمر يكشف أبو العلاء المعرِّيِّ أن الإسلام دينُ عمل اجتماعيٌّ، حث على الورع، واقتصد في فرض العبادات، ودعا إلى النظافة، ونهى عن

=الزائد الغافلة: جمع غوافل وهي البريئة الفاضلة. الألباب: العقول. الشَّرب: شاربو الخمر. رفل: جرّ ثوبه وتبختر. والروافل: المُنْعَمَاتِ. الأوانِس: جمع آنسة. يَجرّون: الواو تعود على الشَّرب. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج٢/ ص٢٣٧.

اتهام النساء العفيفاتِ وحرم الخمر، ووضع الزكاة، وجاء بالخُلق الحميد، وهو في ذلك خِصْب في المُثل العليا التي يرفعُها أبو العلاء أمامه وأمام البشر. وليس في الإسلام تلك العقائد التي تُتعب العقل بالمُحالات أو تتعب الجسم بالفروض القاسية أو يضيق عنها وقت المؤمن. كما يكشف أنه يؤمن بنبوة محمدﷺ ويرى أنه جاء ليهذب الناس ويرشدهم إلى خير السبل.

ثم تأتي طبقة من الناس، ممن ليسوا برسلٍ ولا أنبياءَ، فيتصدرون لشرح الشرائع وتفسيرها، ويُكذبون على الرسل والأنبياء، فيقول(١): (من بحر البسيط)

الحَمدُ لِلَّهِ قَد أَصْبَحْتُ في لُجَــجٍ * مُكابِدًا مِن هُمومِ الدَهرِ قَامُوســا**

قَالَتْ مَعاشِرُ لَم يَبْعَــثْ إِلهُكُــمُ * إِلى البَرِيَّةِ عِيساها وَلا مُوسَــى**

وَإِنَّمــا جَعَلــوا لِلقَــومِ مَأكَلَــةً * وَصَيَّروا دينهم للمُلكِ ناموســا**

وَلَو قَدَرتُ لَعاقَبتُ الَّذينَ طَغَــوا * حَتّى يَعودَ حَليفُ الغَيِّ مَرْمُوسَا**

النسق الظاهر يحمد أبو العلاء المعرِّيِّ الله على كل حال، رغم دخوله في أمواجٍ من الهموم يعاني شدتها وكثرتها، التي غدت كالبحر كثرةً. لقد أنكر بعضُهم بعث الله – تعالى – عيسى وموسى نبيّين للناس يهدونهم. وكل الذي فعلاه أنهما بينا للناس طريقًا للرزق، وأظهروا لهم سُبُلَ الاحتيال والخداع. فلو كان بيدي لعاقبت كلَّ الضالين حتى الموت، حتى يعود الضال منهم إلى قبره. **النسق المضمر** يكشف أنه كان يُعاني من سوء عقيدة الناس في آرائهم، ويرى مُنكري عيسى وموسى في ظلم وضلال، فلو كانت لديه قدرة لعاقبهم على سوء فعلهم وقولهم.

---

(١) قاموس: بحر. اللجج: الأمواج. مأكلةً: رزقًا. الناموس: الاحتيال. مرمُوسًا: مدفونًا. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٦٢٦.

ويحمل على الناس حملة شديدة بحجة أنهم أساؤوا فهم الرسالة، أو تصرفوا في تحويلها عن وجهها أو أعرضوا عن قبولها، فيقول[1]:(من بحر الخفيف)

أَسْهَبَ الناسُ في المَقَالِ وَمَا * يظفَرُ إلا بِزَلَّةٍ مُسْهِبُوهُ**

عَجَبًا لِلمَسِيحِ بَينَ أُنَاسٍ * وإلى غير والِدٍ نَسَبُوهُ**

أَسْلَمَتْهُ إلى اليَهُودِ النَّصَارى * وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ صَلَبُوهُ**

يُشفِقُ الحَازِمُ اللّبِيبُ على الطِفْلِ * إذا مَا لِدَاتُهُ ضَرَبُوهُ**

وَإذا كانَ ما يَقُولُونَ في عيسى * يَقِينًا فَأَيْنَ كَانَ أَبُوهُ؟**

كَيْفَ خَلّى وَلِيدَهُ لِلأَعَادِي * أَمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُم غَلَبُوهُ**

وَإذا مَا سَأَلْتَ أَصْحابَ دِينٍ * غَيَّرُوا بِالقِيَاسِ مَا رَتَّبُوهُ**

لا يَدِينُونَ بِالعُقُولِ وَلَكِنْ * بِأَبَاطِيلِ زُخْرُفٍ كَذَّبُوهُ**

النسق الظاهر يقول أبو العلاء المعرِّيِّ لقد أطال الناس كلامهم، مما عرضهم للزلل. وإنني لأعجب من قول النصارى في المسيح، إذ نسبوه إلى أكثر من والد (الله، ويوسف) ثم أسلموه لليهود، وأكدوا أنهم صلبوه. ثم يذكر أن الرجل العاقل يشفق على طفله، إذا ضربه رفاقه، فيمنعهم عنه. فإذا كان صحيحًا ما ادعاه النصارى على عيسى، فأين كان والده، ولِمَ لم ينتصر له؟! وكيف ترك ابنه بيد الأعداء؟ أم إن النصاري يعتقدون بأنه غُلِبَ على أمره، فضعف واستسلم، وهو المسيح ذو القدرة والجلال؟! هكذا حال أصحاب الأديان، يدعون ما لا يُعْقَل. فإذا سُئِلوا، قاسوا الأمور بغير أشباهها، إنهم لا يحكمون العقول فيما

(١) أسهب: أسرف وأطال. أقرّ: اعترف. اللبيب: العاقل. لِداته: رفاقه في مثل سنّه. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج٢/ ص٥٧٢.

يدينون به، وإنما تراهم ينمقون القول، ويزخرفون الباطل. **النسق المضمر** يكشف أن أبا العلاء المعرِّيِّ لم ينكر النبوة، ولم ينتقد الرسل، بل إنه يعرِّض بآراء الناس واستنتاجاتهم الخاطئة، وينتقد أعمال أتباع هذه الأديان. فأبو العلاء يعتقد أنَّ رؤية الناس إلى الدين ليست صحيحة. ولذلك أصبح الدينُ من أسباب تشتتهم وتفرقهم، يستغله المرتزقون بهدف اكتساب القدرة والثروة. ومنهم مَن أضاف إلى الدين أمورًا واهية شوهت مبادئه، وعارضت سبل الاهتداء به.

٣-نسق المقدس والمدنس:

قد شغل النسق الضدي(المقدس/ المدنس) في عالم أبي العلاء المعرِّيِّ الديني، فقد عرى أبو العلاء المدنسين المتلبسين بقداسة الدين، وروحه السمحاء، فكم من واعظ ناسك يتكلف في وعظه ويستتر، فإن كُشفت خباياه بان فسقه، ومن المصائب أن المدنسين اختلطوا بالمتنسكين وأصبح من الصعب فرزهم أو تمييزهم. ولاشك أن عقول الناس اضطربت، فاختلت معاييرهم، وخلطوا تحت ظل هذه الأجواء المعتمة بين (المقدس/ والمدنس). إن معارضة أبي العلاء لهذا النمط من التفكير والسلوك اتخذت أشكالًا متعددة من الضدية منها:السخرية والمناظرة العقلية والتمويه والرمز، مما أحدث رجة لم يحتملها بعضهم لزعمهم أن هذا الإرث المقدس لهم وحدهم، وهم الموكلون بحفظه وحمايته، وإبعاده عن دائرة النقاش والمحاورة، وإبقائه ضمن دائرة الخوف والإثم. وبالتالي كشف أبو العلاء الأصول الخادعة التي تختبئ وراء الشعارات الدينية المقدسة، والتي كثيرًا ما كانوا يعمدون إلى استبطانها على هيأة حقائق منزهة.

فـ "ـلم يقف أبو العلاء المعرِّي موقف الداعي للخروج عن الدين الحنيف، ولكنه موقف الناقد لأفعال الفاسدين والمراءين. قد شغل نفسه بقضايا عصره، ولم يكن راضيًا عن سلوك الكثيرين من الذين يتزيون بزي الدين وهو منهم براء، أو يدعون التصوف والزهد خداعًا وكذبًا، وقد جر عليه موقفه هذا كثيرًا

من الصعاب"[١]، ولكنه ظل يسير في طريقه الصحيح لا يعبأ بانتقادات الآخرين. ويبين حال طائفة من الناس يظهرون الإيمان، وهم منافقون، يظهرون الصلاح والتقوى والتنسك، ويخفون في نفوسهم الطمع والجشع وحب المال، وهم بذلك يخدعون المحيطين، ولكنه خداع لا يدوم.

ولرجال الدين عامةً الذين يستخدمون الدين في سبيل الدنيا، والمتظاهرين منهم بالتقوى خاصة نصيب كبير من نقمة أبي العلاء المعرِّيِّ؛ فقد اتخذوا الدين يصطادون به المناصب والأموال ويتسترون به عند إتيان الكبائر والمنكرات، ثم لجأوا إلى النفاق والكذب في سبيل الحصول على القوت وعلى ثمن اللهو، ويتصف بعض رجال الدين بالرياء والجهل والطمع والفسق، فهذا البرنامج الذي يرسمه أبو العلاء لنفسه يضع أمامه قضية تنبه الرقدة الغافلين في المقام الأول، ولذلك فهو ينتقد رجال الدين لأنهم غفلوا عن أداء واجباتهم وتناسوا حقوق مهمتهم، فيقول[٢]: (من بحر الوافر)

رُوَيْدَكَ قَد غُرِرْتَ، وَأَنــتَ غِــرٌّ * بِصاحِبِ حيلَــةٍ يَعِــظُ النِســاءَ**

يُحَرِّمُ فــيكُمُ الصَّــهبَاءَ صُــبْحًا * وَيَشْرَبُها عَلــى عَمَــدٍ مَسَــاءَ**

تَحَسَّاها: فَمِنْ مَــزْجٍ وَصِــرْفٍ * يَعُــلُّ كَأَنَّمــا وَرَدَ الحِسَــاءَ**

يَقُولُ لَكُمْ غَــدَوْتُ بِــلا كَســاءٍ * وَفــي لَــذَّاتِها رَهَــنَ الكِسَــاءَ**

إِذا فَعَلَ الفَتَى ما عَنْــهُ يَنْهَــى * فَمِنْ جِهَتَــيْنِ لا جِهَــةٍ، أَسَــاءَ**

---

(١) يسري محمد سلامة، النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعرِّيِّ، ص٢٨٥.

(٢) رويدك: مهلك. الغرّ: قليل الخبرة. غُرِرْتَ: خُدعت. الصهباء: الخمرة من عنب أبيض. تحساها: شربها على دفعات. مزج: ممزوجة. صرف: بدون مزج. يعلُّ: يشربها ثانية؛ وينهل: يشرب للمرة الأولى. أي أنه عاقر الخمرة وكأنها الحساء الحلال شربه. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٥٩-٦٠.

النسق الظاهر يصور أبو العلاء المعرِّيِّ هذا الواعظ المنافق الذي يدعى أنه أضحى بلا كساء، مع أنه أنفق ثمن كسائه في اللذات، وأن الإنسان حين يفعل ما ينهى عنه يكون قد أساء مرتين. ولعلَّ بعض الذين يُذكرون الناس بالدين في المساجد ويخوفونهم بالله وبعذابه أشبه برجال يسكرون ويغنون في الحانات، فالأولون غير جادين فيما يقولون من التخويف بآيات الله، بينما الآخرون جادون مخلصون في ما يفعلون، وكلهم عنده مخطئون.

النسق المضمر يكشف عن الصورة الصادقة التي تنطق عن وعي بنفسية بعض الرجال الذين يتخذون من الدين بضاعتهم . ويحمل حملة شعواء على الوعاظ المراءين الذين ينكرون على الناس شرب الخمر صباحًا ويشربونها على عمد في المساء.

لقد "سئم أبو العلاء المعرِّيِّ من تلاعب الرجال باسم الدين واستخفافهم بعقول الناس ويسخرونها لأهدافهم الدنيئة ولجلب منافع الدنيا"(١). ويرى أن القدر قد ساق الناس إلى غض الأبصار عن أخطار هؤلاء الذين يراؤون أمام الناس ويحاولون إظهار فضلهم وعلمهم على المنابر، فيقول(٢): (من بحر البسيط)

فَلا يَغُرَّنْكَ مِــنْ قُرَّائِنــا زُمُــرٌ * يَتْلُونَ في الظُّلَمِ الفُرْقَانَ وَالزُّمَرا**

يُقَامِرُونَ بِما أُوتُوهُ مِــن حِكَــمٍ * وَصاحِبُ الظُّلْمِ مَقمورٌ إِذا قَمَــرا**

يُبْدِي التَّدَيُّنَ مُحتالًــا ضَــمائِرُهُ * غَيرُ الجَمِيلِ، إِذَا ماجِسْمُهُ ضَمَرا**

يَشدُو مَزَامِيــرَ داوودٍ وَيُفْضُــلُهُ * في النُّسْكِ نَافِخُ مِزْمارٍ لَهُ زَمَرا**

---

(١) على كنجيان خناري، مصادر ثقافة أبي العلاء المعرِّيِّ، ص ٢٠٥. بتصرف

(٢) زُمُرٌ: فئات. الفرقان: القرآن، لتفريقه بين الخير والشر. الزمر: مزامير داود. يقامرون: يخادعون. حكم: حكمة وعلم. مقمور: مغلوب. إذا قمرا: إذا غلبَ. ضمر جسمُه: نَحل. أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَويّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٤٦٥

النسق الظاهر يقول أبو العلاء المعرَّيِّ لا تنخدع بأولئك القرّاء الذين ينهضون ليلًا كي يقرؤوا تلاوةً سورًا من القرآن أو مزامير داود(اليهود). يخادعون بما يملكون من حكمة وعلم، والظالم مغلوبٌ عند الله – عزَّ وجلَّ – وإن غَلَبَ أقرانَه في الأرض. يظهر التنسك وينحل جسمُه، ولكن ضميرَه يحمل الحقد، ويدفعه لفعل القبيح. يتغني بما جاء في كتاب داود مظهرًا إيمانَه، والأفضلُ منه إيمانًا الزّامرُ ينفخ في زَمْرِهِ. **النسق المضمر** يكشف أنه يتضجر من رياء الناس وعدم إخلاصهم لدينهم، فينادي بأعلى صوت ويستقبح السوء الذي في دواخلهم. فهو يكره متاجرة الناس بالدين وينصحهم ويحثهم على فعل الخير ما استطاعوا إليه سبيلًا. كما يكشف أنه عرى هؤلاء المدنسين المتلبسين بقداسة الدين، وروحه السمحاء، فكم من واعظ ناسك يتكلف في وعظه ويستتر! فإن كُشفت خباياه بان فسقه، ومن المصائب أن المدنسين اختلطوا بالمتنسكين وأصبح من الصعب فرزهم أو تمييزهم.

لقد وقف أبو العلاء المعرِّيِّ ضد احتكار الحقيقة الدينية، فتمرد على بعض القيم الدينية والأخلاقية التي لم يكن المقصود منها الدين والأخلاق، بل بوصفها مما يستغل لخدمة السياسة، أو بوصفها وسيلة من وسائل السلطة السياسية في فرض إرادتها ونفوذها على الناس، فيقول[1]:(من بحر المتقارب)

لَحَــا اللّــهُ قَومًــا إذا جِئْــتُهُمْ * بِصِدْقِ الأَحَادِيثِ قــالوا: كَفَــرْ**

النسق الظاهر يقول أبو العلاء المعرِّيِّ قبّحَ اللَّهُ أولئك الناس الذين تأتيهم بأنباء صادقة، وأخبار صحيحة، فيصفون صدقَك بالكذب. **النسق المضمر** يكشف أبو العلاء أن الغواة من رجال الدين يُكفّرون المخالف لهم بقصد التهميش والتدليس، لا على ما يوجب الكفر، وصار كلٌّ واحد منهم يشك في الآخر،

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَوِيّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٥٧٧

بمجرد الخلاف في الرأي والتقاطع في المنفعة الدنيوية، في الوقت الذي أصبح فيه تكفير الصادقين أمرًا مألوفًا له ما يسوغه ويدعمه بالحجة الزائفة.

وقد وقف أبو العلاء المعرِّيِّ موقفًا ضديًّا، ساخرًا من جهل الناس حقائق الدين القويم، من المجادلين الذين لا يكفون عن الصراع والصدام، وهم على يقين من ضلالهم المزيف للحقيقة المقدسة، فيقول(١): (من بحر الوافر)

وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ * لَهُمْ نُسُكٌ وَلَيْسَ بِهِمْ رِيَاءُ**

فَأَلْفَيْتُ البَهَائِمَ لا عُقُولٌ * تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ وَلا ضِيَاءُ**

وَإِخْوانُ الفَطَانَةِ فِي اخْتِيالٍ * كَأَنَّهُم لِقَومٍ أَنبِيَاءُ**

فَأَمَّا هَؤلاءِ فَأَهْلُ مَكْرٍ * وأَمّا الأَوَّلُونَ فَأَغْبِيَاءُ**

وإِنْ كانَ التُّقَى بَلَهًا وَعِيًّا * فَأَعْيَارُ المَذَلَّةِ أَتْقِيَاءُ**

النسق الظاهر يقول أبو العلاء المعرِّيِّ لقد فتَّشت عن أصحاب دين حقيقيين، لا مخادعين، فوجدت الناس واحدًا من اثنين: إما غبيٌّ لا يقنع، أو ذكيٌّ متكبّر مختال يظنّ نفسَه كالأنبياء، فالأوّلون أغبياء، والآخرون ماكرون. لو كان التُّقى والتديُّن ضعفًا وغباء لكانت الحميرُ الأذلاءُ أتقياءً. **النسق المضمر** يكشف أبو العلاء المعرِّيِّ أن الدين الحقيقي لا يمكن أن يتم إلا بالممارسة العملية، وفي تطلعه لهذا النهج كان ينتقد ما هو سائد، متطلعًا للأفضل، من أجل نظام ديني يجمع بين التنظير والتطبيق. كما يتبين عمى بصائر الناس، ويكشف تدنيس الحقيقة ومحاولة إخفائها مما دفعه إلى السخرية من المراءين.

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ، ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَوِيّ)، برواية الإمام التبريزي، ج١/ ص٥١-٥٢.

خاتمـــــة

وبَعد؛ فَكُلُّ كتابةٍ إبحارٌ فِي مَجَالها وتخصصِّها، وكُلُّ تأليفٍ أو تأويلٍ لتأليفٍ سابقٍ، إبحارٌ عِرفانيٌّ ذِهنيٌّ، وكُلٌّ ومراكِبُهُ، وعُدَّتُهُ، ورجَالُه، وخِبْرَتُه ببحرِ العلمِ الذي يخوضُه وأهوالهُ وأحوالُهُ وتقلباته. وكُلٌّ بما عادَ، أو سيعودُ، أو لا يعودُ أبدا؛ هُناك من عَادَ بالكنوزِ والعجائبِ، وهناكَ من عاد بالرُّوحِ مُؤمنةً وصحائفَ ملأى بالتجاربِ. هُناك من شَفَى قَلبَهُ لَقَبَ المُحاربِ، وأرضاهُ مِن الغنيمةِ أنه آيبٌ. وهُناكَ من أدارَ رأس مَرْكبهِ عائدًا إلى البحرِ بمجرد الرَّسْوِ. وكُلٌّ ومدى صبرِهِ وعُمق قصدِهِ وصيدِه، وبذلكَ اختلفتْ أحجامُ الشِّباك والمراكِبِ، وتباينتْ المِلَلِ والمشاربِ، والنِّحلِ والمذاهبِ، ولطالما ابتهج أقوامٌ على اليابسةِ بسبب ما اعتبرهُ آخرون بَحرًا من المصائبِ. ويُمكن أن **أُبَلْور أهم النتائج الرئيسة** التي توصل إليها البحث فيما يلي:

١- يقف أبو العلاء المعرِّيِّ من الإنسان موقف الواعظ الديني أو المعلم الأخلاقي الذي يجعل هدفه إصلاح النفس وتقويمها، وتوجيه السلوك الإنساني إلى ما فيه خير الإنسان في الدنيا والآخرة، عن طريق الانتصار على النفس الأمارة بالسوء، وتقليم أظافر الشر في هذه الدنيا التي يتنازعها صراع حاد بين الخير والشر. فالشر عنصر متأصل في النفس البشرية منذ بدء الخليقة. فقد ورثت البشرية – في رأي أبي العلاء المعرِّيِّ – الشر من أبيها الأول، فجاء أبنائه أشرارًا، فالشر ليس محدثًا، ولكنه قديم منذ أن أخرج الله آدم من الجنة، وأسكنه وبنيه هذه الأرض.

٢- إن أبا العلاء المعرِّيِّ مؤمن بالله ورسولهِ مطبقًا هذا على مجال السلوك عاملًا عقله إلى أقصى درجة، متآزرًا بين العمل والنقل. فهو سليم الإيمان والعقيدة، ويؤكد على ذلك سيرته وسلوكه وأخلاقياته التي هي مستوحاة من الدين.

٣- يؤمن أبو العلاء المعرِّيِّ بالله – تعالى – وأن العقل عاجز عن إدراك حقيقته، ويؤكد إيمانه بأن وراء كل شيء خلقه الله حكمة قد يصعب فهمها على العقل، لأنها أبعد من أن يصل إليها سلطانه، أو أن تخضع لقانونه البشري، فالله – تعالى – عند أبي العلاء المعرِّيِّ هو الحقيقة الأزلية الثابتة التي لا شك فيها وفي بقائها؛ وما سواه يتغير ويتبدل ويَفْنَى. وهو حقيقة نستطيع أن ندركها في مخلوقاته التي تدل على قدرته وحكمته، وعلى أنه لم يخلق الحياة عبثًا أو دون غاية. أما العقل فقاصر عن إدراكها أو الانتهاء إلى يقين عقلي بشأنها، لأنها خارجة عن نطاق إدراكه المحدود.

٤- يعزو الناس إلى المعرِّيِّ العلم والدين معًا، فكان ينفي عن نفسه هاتين الخلتين من باب التواضع والأدب، فرغم زهده وورعه وتقواه يرى أنه ليس أهلًا لأن يقال عنه أنه متدين أو عالم، فكان يشعر بألسنة الناس الحداد تثقب جدار بيته ويود لو كان كالوثن لا يشعر بما يقال حوله من تبجيل أو احتقار حتى يسكت لسانه عن محاجاة الناقمين عليه.

٥- إن في أدب أبي العلاء المعرِّيِّ عامة، وشعره على وجه الخصوص نصوصًا كثيرة تنطق في تحميده وتمجيده لله – جلت قدرته – وهو ما يثبت صدق يقينه وصحة إيمانه، ويدفع حجة من يرميه بالإلحاد. وإذا كان قد ذهب في الرسالات والأديان والرسل إلى ما ذهب إليه، نتيجة سوء الحياة الدينية في عصره، وكذلك الحياة الخلقية وغيرها من أحوال الحياة العامة، فيما حمل على الدين ذنب أهله وعابَ الشرائع بآثام أصحابها، ولكن في الوقت نفسه لم ينكر النبوات، فما كان ذلك إلا لاعتماده على العقل؛ الذي خلقه الله وجعله مصباحًا يضيء للإنسان طريقه في البحث عن الحقيقة.

٦- إن العقل قادر على الوصول إلى الحقيقة، ولكنه يبدو عاجزًا حين يقف أمام ما انفرد الله – تعالى – بعلمه، وحَجَبه عنه في عالم الغيب، وهنا لا يملك إلا الظن والحدس، فالعقل عاجزًا عن إدراك أسرار الكون، قاصرًا عن

تفسير حقائق الخير والشر؛ فجنح بصاحبه وتمادى به؛ فذهب مغاضبًا ينادي في ظلماته الثلاث أن لا إمام سوى العقل، فهو الحكم في كل شيء، والفيصل في كل أمر، والسلطان في كل شأن؟! وصدق من قال: من اعتمد على جاهه ذل، ومن اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد على الناس ملَّ، ومن اعتمد على علمه ضلَّ، ومن اعتمد على عقله اختلَّ، ومن اعتمد على الله فلا ذلَّ، ولا قلَّ، ولا ملَّ، ولا ضلَّ، ولا اختلَّ.

٧- إن أبا العلاء المعرِّيِّ لم ينكر النبوة، كما لم ينكر وجود الله – تعالى – من قبل، فالنبوة من عند الله – تعالى – فلا يمكن أن يؤمن بالكل وينكر جزء من أجزائه، فهو رجل العقل والمنطق، ولكنه يبغي الكمال والمثال في كل شيء، فعندما يرى ما هو غير كامل في كل مناحي الحياة والفكر يحاول أن يظهر ما فيه من نقائض حتى تكتمل صورتهُ المثالية في ذهنه، والدليل على ذلك مدحهُ للدين الإسلامي ورسولهِ الكريم في أكثر من موضع.

٨- إن هناك فرق دينية لم ينتهجوا الدين على أصوله المعروفة، بل حادوا عنها كثيرًا، وتناقضوا فيها، ولا سيما فيما يتعلق بالنظر والعمل في مجال الدين، فالدين سلوك وطريقة وليس مجرد شعائر وطقوس، كما لا ينبغي أن نتجاهل كثيرًا من المفارقات في مجال الدين، والتي تجعل الإنسان في حالة حيرة دائمة ويكون تفسيرها إما عن طريق العقل، وإما بتركها نهائيًا بموقف لا أدري، أو الإيمان بها على ما هي عليه، وإن كان ما يشغل المعرِّيِّ في أُمور الأديان هو إعمال العقل فيها مع النقل حتى تترسخ في الإنسان العقيدة ويصدر عنه السلوك الأخلاقي الديني من دون قسر أو مجرد تقليد، فإيمانه إيمانًا عقليًا وجدانيًا.

٩- إن أبا العلاء المعرِّيِّ يغار على الإسلام كل الغيرة، فكان تقيًا ورعًا، لكنه كان مفكرًا جريئًا مقدامًا يتناول الأمور الدينية دون خوف، فقد احترمه الناس والعلماء ورجال الدين والفقهاء، فلو كان زنديقًا أو ملحدًا لانفض

الناس من حوله وهجره العلماء والفضلاء. لكن الشبهات تحوم حوله بسبب جرأة آرائه، وشعر يتسم بالإلحاد وضع على لسانه قصدًا لهلاكه، وإيثارًا لإتلاف نفسه.لأنه كان ينعي على المنافقين الذين أحالو الدين إلى تجارة يتكسبون بها، ولذلك حاربه أولئك الأدعياء بوضع الكثير من شعر الزندقة على لسانه حتى يطيحوا به، ولكن محاولتهم باءت بالخسران وظل المعرِّيِّ رجل الدين التقي الورع الزاهد، فلابد أن يحذف هذا الشعر من صحيفة أبي العلاء ويضاف إلى الزنادقة.

١٠- إن طبيعة عصر أبي العلاء المعرِّيِّ والاختلافات بين الفرق والمذاهب وأصحاب الدين الواحد يجعلنا نلتمس له العذر في نقدهم، فلم يكفر بالنبوات، بل كره التهافت والتناقض من بعض الفرق في شأن النبوات، وربما تأكيده على أن الدين سلوك ومعاملة أكثر مما هو طقوس سبب لاتهامه بالاستهانة بالطقوس.

١١- يشكو أبو العلاء المعرِّيِّ من قلة العلماء في زمنه ورجال الدين الذين يقولون قوله الحق دون خوف، حتى انتشر كلام الجهل في كل مكان، ويدعو أن يفيقوا من سكرتهم ومما أحاطهم به المراءين من دعاوي وخيالات يريدون بها السيطرة والجاه الدنيوي، فهو يتضجر من عدم إخلاص الناس لدينهم، وقد ملّ النفاق والرياء بين الناس.

١٢- يدعو أبو العلاء المعرِّيِّ إلى الخير والإصلاح، ولكنه كان يكره المنافقين والمرائين الذين يتاجرون بالدين ويبتغون عرض الحياة الدنيا متسترين بالدين، فهو لا يخص المسلمين وحدهم بهذا النقد اللاذع، وإنما يذكر أصحاب جميع الأديان والمذاهب ويخص بالنقد فيهم رجال الدين الذين لم يؤمنوا بما وعظوا الناس به، وإنما كان هدفهم من ذلك جلب منافع الدنيا إلى أنفسهم، ويرى أن الهدف الأساسي من جميع الأديان هو فعل الخير وترك الشر، فهو يفعل الخير غير مكترث بما يقوله هؤلاء المتطفلون على

الدين ويترك الشر لأنه يرى الفطرة الإنسانية تواقة إلى تركها، وأن جميع الأديان في جوهرها تدعو إلى تركها وتحث الناس على ذلك.

١٣- هاجم أبو العلاء المعرِّيِّ ما تصير إليه الأديان على أيدي المنتسبين إليها فتصبح نوعًا من التسلط والجباية باسم الدين، مما يفعله المراءين الذين أحالوا الدين إلى تجارة يتكسبون بها، فهو يحمل عليهم بعنف ويحمل على ما وصلوا إليه من الفساد والنفاق، الذي لا علاقة له بحقيقة وجوهر الدين، وما أكثر المتظاهرين بالتقوى اليوم الذين أفسدوا الحياة الاجتماعية وأخذوا أموال الناس ولجاؤا إلى النفاق والكذب، فازداد الجهل والزور والطمع والفسق.

١٤- يعد الدين من أهم المصادر التي استقى منها أبو العلاء المعرِّيِّ ثقافته، فقد ذكر جميع الأديان المعروفة، ونقد ما يسوق باسم الدين ويروج، كما أنه شنع على علماء الدين المتظاهرين، وهو مع ذلك يرى أن الدين الصحيح هو الإسلام، كما أنه تطرق إلى المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة فيرى أن المذاهب الهدف منها جلب منافع الدنيا لأصحابها، فالدين الصحيح عنده هو تقوى الله وخشيته سرًا وعلانية ومراعاة حقوق الناس وعدم ظلمهم.

المصادر والمراجع[١]

أولاً: المصادر:

١- أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان التَنُوخي المعرِّيِّ: ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) (مما يَسْبق حَرْف الرَوِيّ)، برواية الإمام التبريزي، ومراجعة الإمام أبي منصُور ابن الجواليقي، تقديم وشرح وفهرست وحيد كبابة، حسن محمد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

ثانيًا: المراجع العربية:

٢- أحمد أمين: الأخلاق، دار الكتب المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٣٣م.

٣- أحمد علي الفلاحي: دراسات في النص الشعري العباسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، الإردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤- أحمد فؤاد الأهواني: أفلاطون (نوابغ الفكر الغربي)، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

٥- أرسطو طاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٤٢م.

٦- أكرم مطلك محمد: الأخلاق والدين بين فلسفة الانغلاق والانفتاح دراسة في كتاب (منبعا الأخلاق والدين)، للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، بغداد، العراق، ٢٠١٢م.

٧- توفيق الطويل: الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م.

(١) قد رتبت المصادر والمراجع أبجديًا وفقًا لاسم المؤلف، مع إسقاط (ال)، (أبو).

٨- جمال الدين بن منظور(ت٧١١هـ):
- لسان العرب، تولى تحقيقه نخبة العاملين بالدار كالأستاذ عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
- لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٥٦م.
٩- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م.
١٠-جون كارل فلوجل: الإنسان والمجتمع، ترجمة: سعد الغزالي، مراجعة: أمين مرسي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٦٦م.
١١- أبو حامد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، ترجمة الأمم السهروردي (ت٦٣٢هـ)، د.ط، د.ت.
١٢- أبو الحسن أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
١٣-حسن مجيد العبيدي: من الآخر إلى الذات(دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٤- حسين القاصد: الدلالة الثقافية وسيميائية النسق المضمر، مؤسسة دار الصادق الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، عام ٢٠٢٣م.
١٥- زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، د.ت، د.ط.
١٦- سمير كاظم الخليل النصيري:
-النقد الثقافي والممارسات الثقافية للخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع بعمَّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م.

– الأنساق الثقافية في الخطاب الصوفي: كسر النمط الكتابي والعمى الثقافي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع بعمَّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م.

١٧– طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢م./ الطبعة العاشرة ٢٠١٩م.

١٨– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة، ٢٠١٤م.

١٩– علي بن محمد الجرجاني:

– التعريفات، مطبعة سندة القسطنطينية، د.ط، د.ت.

– التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.

٢٠– على كنجيان خناري: مصادر ثقافة أبي العلاء المعرِّيِّ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢١– عمر فروخ: دراسات في الأدب والعلم والفلسفة، حكيم المعرة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّيِّ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية١٤٠٦ هـ – ١٨٨٦م.

٢٢– فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد صادق (نقلها عن الانجليزية): الموسوعة الفلسفية المختصرة، وأشرف عليها: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٩٦٣م.

٢٣– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت

٢٤– مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٢٥- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط،١٩٨٣م.

٢٦-المجمع العلمي العربي: المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرِّيِّ، يشتمل على وصف المهرجان الذي أقامه المجمع العلمي العربي لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وما قيل فيه من القصائد والخطب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٧- محسن جاسم الموسوي النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥م.

٢٨- محمد حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٢٩- يسري محمد سلامة: النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعرِّيِّ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٣٠- مصطفى السقا وآخرون: جمع وتقديم تعريف القدماء بأبي العلاء، إشراف: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٣١- نجيب بلدي: مراحل الفكر الأخلاقي، دار المعارف، مصر، د.ط،١٩٦٢م.

٣٢- وليام ليلى: مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق: علي عبد المعطي محمد، مؤسسة المعارف، الاسكندرية، د.ط، ١٩٨٥م/٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**مقدمة**
٢	**المبحث الأول: مفهوم القيم الأخلاقية**
٣	**أولًا: القيم**
٤	١-مفهومها اللغوي
٥	٢- المدلول الاصطلاحي
٦	٣-مرجعية القيم
٧	٤- أنواع القيم
٨	أ. الموضوعية الحسية
٩	ب. الذاتية المجردة
١٠	**ثانيًا: الخُلُقُ**
١١	١- مفهومها اللغوي
١٢	٢- المدلول الاصطلاحي
١٣	٣- طبيعة الأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ
١٤	٤- علاقة العقل بالأخلاق عند أبي العلاء المعرِّيِّ
١٥	**ثالثا: مفهوم النقد الثقافي**
١٦	**المبحث الثاني: الأنساق الثقافية الدينية في شعر أبي العلاء المعرِّيِّ**
١٧	١- نسق الإيمان والفكر
١٨	٢- نسق الهدى والضلال
١٩	٣- نسق المقدس والمدنس
٢٠	**خاتمة**
٢١	**المصادر والمراجع**
٢٢	**فهرس الموضوعات**